التفسير الموضوعى
تاريخاً وتطوراً

د. نجلاء العدلى

مدرس الدراسات الإسلامية

بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة عين شمس

مقدمـة :

القرآن الكريم دستور حياة المسلمين ، ومصدر هدايتهم ، ومنه يستمدون تشريعاتهم ، فهو منبع الأحكام التى كلف الله تعالى – بها المسلمين ، فضلا عن أنه معين الآداب والأخلاق التى أمروا أن يتمسكوا بها لتنير لهم الطريق للرقى إلى الدرجات العلا فى جنات النعيم ، وهو خير وسيلة لإصلاح حال المجتمع الإسلامى .

والتفسير : هو مفتاح الكنوز والذخائر التى يحتويها القرآن الكريم ، وبدونه لا نستطيع الوصول إلى فهم أسراره ومقاصده مهما بالغنا في ترديد أيات الذكر الحكيم وحفظها ؛ لذا عنى المسلمون بفهم القرآن الكريم ودراسته منذ عهد النبوة ؛ حيث شرع الرسول الكريم ﷺ يفسر ما غمض من الأيات الكريمة على صحابته الكرام ، ثم اهتم كثير من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – بعد وفاة الرسول ﷺ بتفسير ما أشكل عليهم من الأيات الكريمة كذلك ، وجاء التابعون من بعدهم فزادت عنايتهم بتفسير القرآن الكريم ؛ نظرا لكثرة الفتوحات الإسلامية ، ودخول غير العرب فى الإسلام ، وذلك حتى تسهل مراميه ومعانيه على غير العرب الخلص الذين نزل عليهم القرآن .

وبمرور الزمن أصبح تفسير القرآن الكريم من أهم العلوم التى شغلت المسلمين فبذل علماؤهم جهدا كبيرا في الكشف عن معانى القرآن الكريم ومراميه ، وتنوعت طرق تناولهم لتفسيره ما بين تفسير بالمأثور وتفسير بالرأى ، وقد أخذ التفسير بالرأى أشكالا مختلفة لدى المفسرين على مر العصور ، **فمن** المفسرين من عنى بالنواحى الفلسفية **ومنهم** من اهتم بالأحكام

الفقهية ، وثالث ولع بالقصص القرآنية والإسرائيليات ، ورابع ركز على النواحى البلاغية ، وخامس غاص فى النواحى الإعرابية وتوجيه القراءات ... إلى آخر هذه الأنواع المختلفة من التفاسير .

وهذه التفاســير على اختلاف أنواعها يغلب عليها الطابع التحليلى ؛ إذ يتبع المفسر النص القرآنى بحسب ترتيبه فى المصحف الشريف ، مفسرا له آية فآية ابتداء من الاستعاذة إلى أخر سورة الناس ، ولا يعنى بتتبع الموضوع الواحد في القرآن الكريم على اختلاف السور التى يجئ فيها ، وعلى الــرغم مــن الفائــدة الكبرى لهذه التفاسير فإن عطاءات القرآن الكريم لابد أن تعالج متطلبــات كــل العصور ولاسيما عصرنا الحديث الذى اتجهت أنظار المفســرين فيــه صــوب التفسير الموضوعى .

والتفسير الموضوعى لون من ألوان التفســير يحــاول فيــه المفســرون استنطاق آيات القرآن الكريم ليبرزوا للناس الكنوز الدفينة في كل موضوع من الموضوعات التى تناولها حتى يفيد المجتمع من عطاءات القرآن الكريم التى لا تنفد وفقا لظروف عصرنا الحديث التى تستوجب اتباع كل المناهج التى تتناسب مع الظروف والحاجيات المتغيرة لاستكناه أسرار النص القرآنى الكريم الــذى لا ينقطع مدده الجديد إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وبهذا نستطيع أن نثبت للمسلمين وغير المسلين أن القرآن الكريم كتاب خالد يناسب كل زمن ، وعلى مأدبته العامرة حلول إيجابية ومثالية لجميع المشــكلات الإنسانية .

وسوف أتناول فى هذه الدراسة ثلاثة مباحث رئيسة :

- **أولهـــا :** تعريف التفسير الموضوعى وأنواعه .
- **وثانيها :** تاريخ التفسير الموضوعى ومراحل تطوره .
- **وثالثها :** أهمية التفسير الموضوعى .

المبحث الأول

تعريف التفسير الموضوعى وأنواعه

ظهر مصطلح التفسير الموضوعى فى نهاية القرن الرابع عشر الهجـرى ولعل الفترة التى استخدم فيها هذا المصطلح هى الفترة التى بدأ فيها الحديث عن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .

ومصطلح **التفسير الموضوعى** مركب من جـزأين ، **أحـدهما** : التفسـير **والآخر** : الموضوعى ، وسوف ألقى الضوء على تعريف كل منهما على حـدة قبل تعريف المصطلح المكون منهما .

أولا : تعريف " التفسـير " :

والتفسير فى " اللغة " : مصدر على وزن **تفعيل** ، **ومعنـاه** : الإيضـاح والتبيين ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّـا جِئْنَـاكَ بِـالْحَقِّ وَأَحْسَـنَ تَفْسِيرًا ﴾ [١] ، **والتفسير** كشف المراد عن اللفظ المشكل [٢] ، وهو بيان وتفصيل للكتاب [٣] ، وقد ذكر **الراغب الأصفهانى** فى مفرداته أن : " **الفسـر** : إظهـار المعنى المعقول ، والتفسير فى المبالغة كالفسر ، والتفسير قد يقال فيمـا يخـتص بمفردات الألفاظ وغريبها " .[٤]

---

(١) الفرقان ٢٥ / ٣٣ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ، فسر ٥ / ٣٤١٢ ٣٤١٣ ، والنظـر كـذلك معجـم مقاييس اللغة لابن فارس ٤ / ٥٠٤ .

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهرى ١٢ / ٤٠٧ .

(٤) مفردات ألفاظ القران للراغب الأصفهانى ٦٣٦ .

وأضاف **الفيروز آبـــادى** أن : الفعل فسر نقل من الثلاثى " إلى باب التفعيل للمبالغة ، وكان المفسر يتتبع سورة سورة ، وآية آية ، وكلمة كلمة لاســـتخراج المعنى، وحقيقته كشف المتغلق من المراد بلفظه ، وإطلاق المحتبس عن الفهـــم به " .(١)

أما التفسير فى الاصطلاح : فقد عرفه العلماء تعريفات كثيرة مختلفة الألفاظ متقاربة المعانى ، ومن أوضح هذه التعريفات **تعريف الزركشى** ؛ حيث ذكر أنه : " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيـــه محمـــد ﷺ وبيـــان معانيـــه ، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه ، والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول ، والناســـخ والمنسوخ " .(٢)

وقد ذكر الدكتور **الذهبى** عدة تعريفات لمصطلح **التفسير**(٣) واستنتج أنهـــا " تتـــفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقـــة البشرية ، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد " .(٤)

ثانيا : تعريف " الموضوعى " :

الموضوع فى اللغة : هو المنخفض ، قال **ابن منظور** : " الوضـــع ضـــد الرفع ، وضعه يضعه وضعا وموضوعا " .(٥)

---

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروز ابادى ١ / ٧٩ .
(٢) البرهان للزركشى ١ / ١٣ .
(٣) انظر التفسير والمفسرون للذهبى ١ / ١٥ ـ ١٧ .
(٤) التفسير والمفسرون ١ / ١٧ ، وانظر كذلك مناهل العرفان للزرقانى ٢ / ٣ .
(٥) اللسان وضع ٦ / ٤٨٥٧ .

وقال **صاحب القـاموس** : " وضعه يضـعه ، بفـتح ضـادهما ، وضـعاً وموضعاً ، ويفتح ضاده ، وموضوعا : **خطه** " .(١)

والموضوع فى الاصطلاح : عرفه **الجرجانى** بقوله : " **الموضـوع** : هـو **محل** العرض المختص به ، وقيل : هو الأمر الموجود في الذهن ، وموضـوع **كل** علم : ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، كبدن الإنسان لعلم الطب ، فإنـه **يبحث** فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض ، **وكالكلمات** لعلم النحو ، فإنه **يبحث** فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء " .(٢)

وذكر **أبو البقاء الكفوى** أن : " الموضوع : هو عبارة عن المبحوث بالعلم **عن** أعراضه الذاتية " .(٣)

ويزيد **المعجم الوسيط** الأمر تحديدا فيذكر أن : " وضع العلم : اهتدى إلـى **أصوله** وأولياته ... ، **والموضوع** : المادة التى يبنى عليها المـتكلم أو الكاتـب **كلامه** " .(٤)

وقد عرف الدكتور **مصطفى مسلم** مصطلح " الموضوع " بأنـه : قضـية **أو امر** متعلق بجانب من جوانب الحياة (٥) (فى العقيدة ، أو السلوك الاجتماعى ، **أو** مظاهر الكون) تعرضت لها آيات القرآن الكريم " .(٦)

---

(١) القاموس المحيط للفيروز ابادى ٩٦٦ .
(٢) التعريفات للجرجانى ٣٠٥ .
(٣) الكليات للكفوى ٤ / ٢٩٥ .
(٤) المعجم الوسيط ٢ / ١٠٨٢ ، **والموضوعى** : منسوب إلى الموضوع ، والمقصود به هنا موضوع محدد من موضوعات القرآن الكريم يبقى معه المفسر ولا يتجاوزه إلى غيـره حتى يفرغ منه .
(٥) هذه العبارة غير جامعة حيث يمكننا دراسة موضوع غير متعلـق بجوانـب الحيـاة **كالموت** مثلا دراسة موضوعية .
(٦) مباحث فى التفسير الموضوعى ١٦ .

والتفسير الموضوعى : مصطلح معاصر له عدة تعريفـــات مختلفـــة [١] ، ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور **عبد الستار فتح الله سعيد** ، حيث قال إنه : " علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية ، عن طريق جمـــع آياتها المتفرقة والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشـــروط مخصوصـــة لبيـــان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع " .[٢]

ومن أوجز التعاريف التى بينت معنى التفسير الموضوعى ما ذكره الدكتور **مصطفى مسلم** من أنه "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية مـــن خـــلال سورة أو أكثر " .[٣]

ولا شك أن تعريف الدكتور **عبد الستار** أعمق وأشمل من تعريف الـــدكتور **مصطفى مسلم** لأنه ذكر نوعية القضايا التى يتضملها التفسير الموضوعى وكيفية البحث فيه ؛ إذ إن الباحث فى هذا اللون من التفسير يعمد إلى الآيات التى تتصل بموضوع واحد فيجمعها ، ويقلب الطرف في أنحائها ، ويجيل الفكر في جوانبها ويكون الموضوع الذى تتصل به ، ثم يعمد إلى جوانب هذا الموضوع ويضـــعه في أطر متناسبة ، وهيكل متناسق متكامل الأجزاء تام البنيان قـــائم الأركـــان ، ويمكن للباحث في هذا النوع من التفسير أن يكمل موضوعه بما جاءت به السنة الصحيحة .

---

(١) ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى وجود غير لون من ألوان التفسير الموضوعى .

(٢) المدخل إلى التفسير الموضوعى ٢٠ .

(٣) مباحث فى التفسير الموضوعى للدكتور مصطفى مسلم ١٦ ، وانظر تعريفات أخرى لهذا المصطلح فى : مباحث فى التفسير الموضوعى ١٦ ، والتفسير الموضوعى بين النظريـــة والتطبيق للدكتور صلاح الخالدى ٣٠ .

ويرى **بعض الباحثين** بعد أن شرح معنى التفسير الموضـــوعى ، وكيفيـــة البحث فيه أن : هذا اللون من التفسير " لم يتم بلياله ، ولم تقم أركانه ولم يـــنح نحوه أحد من العلماء السابقين ، بل لم يتعرض له من اللاحقـــين إلا القليـــل .. وقد سمى بالتفسير الموضوعى نسبة إلى وحدة الموضوع الذى يعالجه " .[١]

وعلى الرغم مما قام به الباحث الفاضل من جهد مشكور في توضيح معنى التفسير الموضوعى وطريقة تناوله فإن عليه مأخذا بشأن قوله إن هذا اللون من التفسير " لم ينح نحوه أحد من العلماء السابقين " . وسوف أفصل القول فى ذلك عند حديثى عن نشأة التفسير الموضوعى ومراحل تطوره .

[١] دراسات فى التفسير الموضوعى للدكتور أحمد جمال العمرى ٤٤ .

أنواع التفسير الموضوعى

قسم العلماء التفسير الموضوعى ثلاثة أنواع وهى :

١- التفسير الموضوعى للمصطلح القرآنى .

٢- التفسير الموضوعى للموضوع القرآنى .

٣- التفسير الموضوعى للسورة القرآنيـــة .

وسوف أتحدث عن كل نوع من هذه الأنواع باختصار :[١]

أولا : التفسير الموضوعى للمصطلح القرآنى :

وفيه يختار الباحث لفظة من المفردات القرآنية التى لم ترد كثيرا فى القرآن الكريم (كالعدل أو الأمة أو الربا) ، ويتتبع هذه اللفظة أو مشتقاتها اللغوية فـــى كل آيات القرآن الكريم ، وينظر فى هذه الآيات وفى تفاسيرها التحليلية نظـــرة فاحصة ، ثم يحاول استنباط دلالات هذه الكلمة ولطائفها مـــن خـــلال اســـتعمال القرآن الكريم لها .

ولعلمائنا السابقين فضل فى الكتابة فى المصطلحات القرآنية ، وخير دليـــل على ذلك المؤلفات التى وصلتنا عن مفردات القرآن ، وكتب الأشباه والنظـــائر وما إلى ذلك .[٢]

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه الأنواع ، وبعض المؤلفات التى ألفـــت فيهـــا . انظـــر : مباحث فى التفسير الموضـــوعى للـــدكتور مصـــطفى مســـلم ٢٣ - ٢٩ ، والتفســـير الموضوعى بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح الخالدى ٥٢ - ٥٩ .

(٢) انظر على سبيل المثال : " الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم " للبلخـــى ، و " إصـــلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم " للدامغانى ، و " مفردات ألفاظ القـــرآن " للراغـــب الأصفهانى .

وللمحدثين دراسات في هذا اللون من التفسير الموضوعى ، مثـــل دراســـة الدكتور **أحمد حسن فرحات** لبعض المصطلحات مثل : [" الخلافة " و " الأمة " و " الذين فى قلوبهم مرض "] فى القرآن الكريم ، ودراســـة الـــدكتور **صـــلاح الخالدى** لمصطلحات [" التفسير والتأويل " و " الجهل " فى القرآن الكـــريم] ، وغيرها كثير .

وعلى الرغم من جهود العلماء السابقين في دراسة المصطلحات القرآنية فإن كتاباتهم ظلت في إطار دائرة اللفظة القرآنية ، وفي موضـــعها ، ولـــم يحـــاول مؤلفوها الربط بينها في مختلف السور على حين تتبع المعاصرون – الذين كتبوا فى هذا اللون من التفسير – دلالات اللفظة فى مختلف مواضعها فـــى الآيـــات الكريمة .

وقد نقد الدكتور **زياد الدغامين** هذا النوع من أنواع **التفسير الموضوعى** ، وسجل عليه عدة ملحوظات وهى :

١- إن البحث عن مفردة قرآنية ، واستخدامها في القـــرآن لا يتـــأتى لجميـــع مفردات القرآن ، لأن بعضها لم يذكر إلا مرة واحدة مثل كلمة " مســـخ " و " مسد " و " أمشاج " ، ومن ثم فلم يتسع هذا التفســـير لجميع مفـــردات القرآن .

٢- إن البحث عن لفظـــة قرآنيـــة واســـتخداماتها لا يقصـــد منـــه التفســـير الموضوعى ، وإنما يقصد بذلك التعرف على المعانى القرآنية من خـــلال الاستعمال القرآنى لها .

٣- إن هذا النوع يختلف عن التفسير الموضوعى من حيث الغايـــة والهـــدف ومنهجية البحث .

٤- إن هذا النوع سيقودنا إلى تجزيئية في التفسير الموضوعى ، ولا تعطـــى تصورا شموليا عن موضوعات القرآن الكريم .(١)

والدكتور **زياد** عل حق فيما ذهب إليه ؛ إذ إن تفسير الألفـــاظ القرآنيـــة لا يعدو التفسير اللغوى الذى يوضح المعانى المختلفة للكلمة القرآنية فى ســـياقاتها المختلفة التى ترد بها في القرآن الكريم ، دون الوقوف على موضوع كامل مما يتنافى مع مصطلح التفسير الموضوعى ، فضلا عن أن هذه اللفظة إن درســـت على جميع وجوهها ومترادفتها التى وردت بها فى القرآن الكريم ، وربط الباحث ما يستنتجه من هذه الدراسة بواقع مجتمعه وعصره ، فإن بحثه هذا سيشبه إلـــى حد التطابق البحث فى التفسير الموضوعى للموضوع القرآنى اللهم إلا في شىء واحد وهو كم الآيات التى تحدثت عنه وعالجته ، ولهذا فلا توجد ضرورة لجعل البحث فى المفردة القرآنية قسما مستقلا من أقسام التفسير الموضـــوعى ويمكـــن دمجه مع التفسير الموضوعى للموضوع القرآنى ليصيرا قسما واحدا .

وعلى هذا يكون للتفسير الموضـــوعى **نوعـــان** فقـــط ، هـــا : التفســـير الموضوعى **للموضوع القرآنى** ، والتفسير الموضوعى **للسورة القرآنية** .

ثانيا : التفسير الموضوعى للموضوع القرآنى :

وهذا النوع هو أشهر أنواع التفسير الموضوعى علـــى الإطـــلاق ، وهـــو المتبادر إلى الذهن حينما يذكر التفسير الموضـــوعى ، وفيـــه يختـــار الباحـــث موضوعا من موضوعات القرآن الكريم ، ويجمع الآيات التـــى تناولـــت هـــذا الموضوع ثم يستوعب تفاسير هذه الآيات ، ويحاول استنباط عناصر موضوعه

(١) انظر منهجية البحث فى التفسير الموضوعى للدكتور زياد الدغامين ١٤ ١٥ .

من خلال الآيات محاولا تقسيم هذا الموضوع إلى أبواب وفصول ، أو فصـــول ومباحث حسب حجم بحثه ، ويجتهد فى ربط هذا الموضوع بواقـــع المســـلمين ومشاكلهم محاولا إيجاد حلول إيجابية لها على مائدة القرآن الكريم .

وهذا القسم من التفسير الموضوعى أعم وأشمل مما يعده بعـــض البـــاحثين تفسيرا موضوعيا للمصطلح القرآنى ، وميدان البحث فيـــه أوســـع ، وارتباطـــه بمشكلات المجتمع أوضح .

ولهذا اللون من التفسير بوادر قديمة ودراسات حديثة سوف أذكرهـــا فـــى موضعها عند حديثى عن مراحل تطور التفسير الموضوعى .

ثالثا : التفسير الموضوعى للسورة القرآنية :

وفيه يختار الباحث سورة من سور القرآن الكريم ، ويلظر في أياتها نظرة فاحصة متدبرة حتى يتسنى له التعرف علـــى موضـــوع الســـورة ومقاصـــدها وخطوطها الرئيسة باحثا عن سبب أو أسباب نزولها أو نزول بعـــض أياتهـــا ، ناظرا إلى ترتيبها بين سور القرآن الكريم ، ويخرج مـــن ذلـــك كلـــه بدراســـة موضوعية متكاملة للسورة ، تبدو معها السورة وحدة موضوعية متناســـقة عـــن سائر السور الكريمة .

ولعلمائنا المفسرين قديما وحديثا جهود مشكورة فى هذا المجال ابتداء مـــن الإمام الرازى حتى عصرنا الحالى وسوف أفصل ذلك فيما بعد .

وقد اعترض الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد على هذا النوع من التفسير وأنكر وجوده معللا ذلك بأن : هذا النوع من التفسير الموضوعى يجعل لمفســـر السورة هدفا ينتزعه من ملاحظة معانيها ، ثم ينزل أيات السور لتحقيـــق هـــذا

الهدف ، وهذا لا يدخل فى نطاق التفسير الموضوعى ، لأن الهدف الذى يستنتجه الباحث أمر التماسى اجتهادى تختلف فيه الأنظار ، فكيف تصنف آيات السـورة على هدف مختلف على تحديده ؟ وكيف يقوم التفسير علـى الاحتمـال مـع أن الأصل في التفسير الموضوعى أن يقوم على أساس النصوص ذاتها أو معانيهـا المتحققة ؟ (١)

* وقد رد الدكتور **زياد الدغامين** على ما ذكره الدكتور **عبد السـتار** وإنكـاره للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية فى عدة نقاط ، **أهمها ما يلى :**

١- إن كل أنواع التفسير : " أدبى أو بيانى أو علمى أو إجمـالى أو تحليلـى أو موضوعى " قائمة على الاحتمال ، فلماذا خصص الدكتور **عبد الستار** التفسير الموضوعى للسورة القرآنيـة بالتحديد ، وذكر أنه أمر التماسـى اجتهادى .

٢- إن قول الدكتور **عبد الستار** يفترض أن السورة القرآنية لا تشكل وحـدة واحدة ولا يجمع بين آياتها نظام معين ، وهذا كلام غير صحيح ، لأن كل سورة تشترك آياتها فى وحدة الهدف والغاية والمعنى ، فضلا عن الوحدة الأدبية فى سور القرآن كله ، وليست وحدة الموضوع في القرآن الكـريم بأكثر دلالة من وحدة الموضوع فى السورة الواحدة على إعجاز القـرآن الكريم ، فكل منها يؤدى غرضا وهدفا ومعنى .

---

(١) انظر المدخل إلى التفسير الموضوعى : ٢٥ ، ويرى الدكتور **عبد الستار** أن مثل هـذه الدراسات لا تدخل فى إطار التفسير الوضوعى ، لكنها تعد من باب الدراسات القرآنيـة العامة .

٣- إن موضوع السورة يكتشف اكتشافا من خلال النظر المتأمل العميق فـــي المناسبات التى ترتبط بها آيات السورة ، وعدم وجود خطة محكمة فى هذا الشأن لا يعني عدم وجود موضوع فى السورة ، ولا يعنى عـــدم وجـــود وحدة ترتبط بها آياتها ، وإنما يعنى عدم وجود خطة محكمة ، وعدم وضع منهج منضبط في فهم القرآن الكريم والتعامل معه .

وأضاف الدكتور **زياد** أن جمع آيات الموضوع الواحد ربما لا يبنى علـــى الدقة المطلقة ، لأن الباحث يتتبع المعنى واللفظ معا لحصر آيات الموضـــوع ، على حين أن النظر إلى السورة كلها ، ومحاولة اكتشاف موضوعها عمل يتميز بالدقة من حيث تعامله مع آيات محددة في وحدة قرآنية ثبتت توقيفا .[١]

ولعل هذا الخلاف بين الدكتور **عبد الستار** والدكتور **زياد** نشأ عن اختلاف فهم كل من الباحثـــين للوحدة الموضوعيـــة ، فالدكتور **عبد الســـتار** يـــرى أن الوحدة الموضوعية المتمثلة فى هدف السورة ... إلخ أمر التماســـى اجتهـــادى تختلف فيه أنظار الباحثين ، فكيف نصنف الآيـــات علـــى هـــدف قـــائم علـــى الاحتمال ؟ على حين يرى الدكتور **زياد** خلاف ذلك كما سبق أن أشرت .

والحق – فيما أرى – أن هدف السورة أمر مســـتنبط مـــن مجمـــل آيـــات السورة ، وهو يربط بين أجزاء الموضوع أو الموضوعات التى عالجتها ولـــيس أمراً احتمالياً قائماً على الاجتهاد المحتمل للصواب والخطأ كما ذكـــر الـــدكتور **عبد الستار** .

---

(١) انظر منهجية البحث فى التفسير الموضوعى ١١٤ ١١٦ .

وفضلاً عن هذا فإن آيات السورة الواحدة وردت توقيفية عـــن رب العـــزة سبحانه وتعالى ، وعلى الرغم من معالجة بعض السور لأكثر من موضوع فإن ذلك لا ينفى وجود وحدة موضوعية تربط أجزاء الســـورة ومـــا تعالجـــه مـــن موضوعات بعضها ببعض لتمثل فى النهاية وحدة واحدة متوافقة فـــى بـــدايتها ونهايتها ، فلكل سورة من سور القرآن الكريم روح خاصة تسرى في آياتهـــا ، وتسيطر على أسلوبها وأحكامها وتوجيهاتها ، ومهمة مفسر القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا أن يهتم بدراسة الروح العامة لكل سورة ، وإبـــراز الغـــرض الـــذى تهدف إليه .

وغنى عن الذكر أن الله – تعالى – عندما أوحى لرسوله ﷺ آيات القـــرآن الكريم أمره بوضع الآيات التى كانت تنزل منجمة كلٌ فى موضعه من الســـور المختلفة ، فلا بد أن هذا الأمر كان لحكم ، **ولعل من هذه الحكم** : تنبيهنا إلى أن آيات كل سورة كريمة تشكل في ذاتها وحدة واحدة وهدفاً معينـــاً تســـعى إلـــى تحقيقه .

المبحث الثانى

تاريخ التفسير الموضوعى ومراحل تطوره

لم يظهر مصطلح التفسير الموضوعى إلا في نهاية القرن الرابـــع عشـــر الهجرى ، وذلك عندما قررت جامعة الأزهر مادة التفسير الموضـــوعى ضـــمن المواد التى تدرس لقسم التفسير بكلية أصول الدين ، ثم أقرت بعد ذلـــك بعـــض الجامعات الإسلامية مادة التفسير الموضوعى فى كليات الشريعة والدعوة .

ولكن ليس معنى ذلك أن هذا اللون من التفسير وليد العصر الراهن ؛ بل إن جذور هذا التفسير ولبناته الأولى تمتد إلى عصر النبوة واســـتمرت بعـــده فـــي صورة هامشية غير مستقلة ، إلى أن جاء عصر النهضة العلمية الحديثـــة التـــى شملت جل العلوم وعلى رأسها علم التفسير ؛ فبدأ العلماء يتحدثون عن الوحـــدة الموضوعية في القرآن الكريم ، وعن التفسير الموضـــوعى ، ويتكلمـــون عـــن قواعده ، وخطوات بحثه ، وألوانه ، إلى أن أصبح علماً معروفاً مستقلاً .

وسوف أوضح ذلك بشىء من التفصيل مبينة المراحل المختلفة التى مر بها التفسير الموضوعى منذ نبتته الأولى حتى العصر الحديث مقسمة إلـــى ثـــلاث مراحل :

الأولـــى : التفسير الموضوعى فى عصرى الرسول ﷺ وصحابته الكرام .

والثانية : التفسير الموضوعى فى عصور التدوين .

والثالثة : التفسير الموضوعى فى العصر الحديث .

المرحلة الأولى : التفسير الموضوعى في عصرى الرسول (ﷺ) وصحابته الكرام :

من المعروف أن رسول الله ﷺ بين لأصحابه الكثير من معـــانى القـــرآن الكريم التى أشكلت عليهم ، والتى كانوا يستفسرون عنها كما شهدت بذلك كتـــب الصحاح ، وأحيانا كان الرسول ﷺ يفسر بعض الآيات الكريمة بآيات أخرى ، ومن ذلك ما ذكره الشـــيخان وغيرهمـــا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قـــال : " لما نزلت ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾ (١) شق ذلـــك على المسلمين ، فقالوا يا رسول الله : أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : ليس ذلك إنمـــا هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال **لقمان** لابنه وهو يعظه ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٢) " .(٣)

ومن المثال السابق يتضح لنا أن رسول الله ﷺ بـــين لصـــحابته أن معنـــى الظلم : فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾ هو الشرك بالله تعـــالى ، وليس المعصية كما فهم الصحابة رضوان الله عليهم ، وقالوا : وأينـــا لا يظلـــم نفسه ؟ ولو كان الأمر كما فهموا لم ينج أحد منهم ، فطمأنهم الرســـول ﷺ بـــأن المقصود بالظلم فى الآية الكريمة هو " الشـــــرك " ، بدليل قول **لقمان** لابنـــــه ﴿ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ .

(١) الأنعام ٦ / ٨٢ .

(٢) لقمان ٣١ / ١٣ .

(٣) اللؤلؤ والمرجان كتاب (الإيمان) ، باب (صدق الإيمان وإخلاصه) ١ / ٣٣ ، حديث رقم ٧٨ .

ومن ذلك أيضا تفسير الرسول ﷺ لمفاتح الغيب فى قوله تعالى :﴿ وَعِنْـدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (١) ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَـدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .(٢)

هذا وقد ذكرت لنا كتب الحديث والتفسير نماذج أخرى لتفسير الرسـول ﷺ القرآن بالقرآن الكريم يضيق المقام عن ذكرها خشية الإطالة .(٣)

* * *

وبعد مضى عصر النبوة نجد أن بعض الصحابة مثل **ابن عبـاس وعلـى** رضى الله عنهم كانوا يجمعون الآيات القرآنية في الموضوع الواحد ليستخلصوا منها حكما صادقا من خلال تفسير بعض آيات القرآن ببعضها الآخـر . وممـا يبرهن على ذلك ما ذكره **البيهقى** من أن " **عمر** رضى الله عنه أتى بامرأة قـد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فبلغ ذلك **عليا** رضى الله عنه ، فقال ليس عليهـا رجم ، فبلغ ذلك **عمر** رضى الله عنه فأرسل إليه فسأله ، فقـال :﴿ وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَـنْ أَرَادَ أَنْ يُتِـمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (٤) ، وقـال :

---

(١) الأنعام ٦ / ٥٩ .

(٢) لقمان ٣١ / ٣٤ ، وراجع فى ذلك الجامع الصحيح ، كتاب تفسـير القـرآن ٣ / ٢٢٧ و ٣/ ٢٧٦ . حديث رقم ٤٦٢٧ ، وحديث رقم ٤٧٧٨ .

(٣) راجع على سبيل المثال كتاب تفسير القرآن الكريم فى صحيحى البخارى ومسلم .

(٤) البقرة ٢ / ٢٣٣ .

﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [١] فستة أشهر حمله ، ورضـــاعه حـــولين تمام ، لا حد عليها ، أو قال : لا رجم عليها ، فخلى عنها ثم ولدت " .[٢]

ومن الحديث السابق يتبين لنا أن **عليا** كرم الله وجهه راجع **عمر** رضى الله عنه فى شأن إقامة حد الزنا على المرأة التى وضعت بعد زواجها بستة أشهر ؛ إذ حكم **عمر** رضى الله عنه العادة الجارية بأن المرأة لا تلد لأقـــل مـــن ســـبعة أشهر ، فذكره **على** رضى الله عنه بأن الله تعالى ذكر أن مدة الحمل والرضاعة ثلاثون شهرا ... إلخ

وعلى هذا خلى **عمر** رضى الله عنه سبيل المرأة عملا بقاعدة درأ الحـــدود بالشبهات ، حيث عدّ ذلك شبهة تحول دون القطع بوقوع جريمة الزنا ، ومن ثم لا يقع الحد .

ولعل المراجعة السابقة من **على** كرم الله وجهه هى التى نبهت **ابن عبـــاس** رضى الله عنهما إلى القول بأن المرأة " إذا ولدت لتسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهرا ، وإذا وضعت لسبعة أشهر كفاهـــا مـــن الرضـــاع ثلاثـــة وعشرون شهراً ، وإذا وضعت لستة أشهر كفاها من الرضاع أربعة وعشـــرون شهراً ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ " [٣] ، وذلك لمن أراد أن يتم الرضاعة .

(١) الأحقاف ٤٦ / ١٥ .
(٢) السنن الكبرى للبيهقى ، كتاب العدد ، باب ما جاء فى أقل الحمل ٧ / ٤٤٢ .
(٣) السنن الكبرى للبيهقى ، كتاب العدد ، باب ما جاء فى أقل الحمل ٧ / ٤٤٢ .

* وبهذا يتبين لنا أن رسول الله ﷺ هو أول من وجه الأنظار إلى تفسير القرآن بالقرآن ، وهى أولى لبنات التفسير الموضوعى الذى اكتمل بنيانه بمرور الزمن ، وقد تابعه الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك ، ولكن فى نطاق محدود وضيق لم يتعد الجمع للآيات التى تعالج موضوعاً واحداً .

ولعل الأمثلة السابقة وغيرها هى التى جعلت علماء التفسير يضعون القرآن الكريم على رأس قائمة مصادر التفسير ابتداء من عصر الصحابة رضوان الله عليهم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ؛ إذ لا بد لمفسر القرآن الكريم أن يجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض ، وهذه مرحلة أولية فى التفسير لا يجوز للمفسر أن يتخطاها قبل أن يستنتج أى حكم أو رأى من القرآن الكريم ، لأن الله تعالى أعلم بكلامه من غيره .[١]

ولله دّر ابن تيمية – رحمه الله – حيثما قال إن " أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى مكان فإنه قد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر من مكان فقد بسط فى موضع آخر " .[٢]

---

(١) ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن تفسير لفظة " كلمات " فى قوله تعالى﴿ فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ (البقرة ٣٧/٢) بقوله تعالى ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف ٢٣/٧) ، وهناك أمثلة أخرى كثيرة على ذلك يضيق المقام عن ذكرها ، ويمكن مراجعة بعضها فى التفسير والمفسرون ٤١/١ – ٤٧ ، وراجع كذلك مباحث فى علوم القرآن ٣٤٦ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، كتاب مقدمة التفسير ١٣ / ٣٦٣ .

المرحلة الثانية : التفسير الموضوعى فى عصور التدوين :

بدأ عصر التدوين مع بداية الدولة العباسية تقريبا ، وقد حظـــى الحـــديث الشريف بالنصيب الأوفى من التدوين ، وفى ظلاله نشأ علم التفسير ، حيث قسم الحديث الشريف إلى أبواب متنوعة ، وكان تفسير القرآن الكريم بابا مـــن هـــذه الأبواب أى جزءا من الحديث الشريف ، ولم يفرد له تأليف خاص .

وبعد استقرار علم الحديث توجهت عناية المسلمين إلى تفسير القرآن الكريم المروى عن النبى ﷺ أو عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، وهو مـــا عرف فيما بعد بالتفسير بالمأثور، وبمرور الزمن أفـــراد التفســـير بالتـــأليف ، وأصبح علماً قائماً بذاته منفصلاً عن الحديث الشريف ، وألف العلماء بعد ذلـــك عشرات التفاسير للقرآن الكريم .

* وقد سار التفسير **الموضوعى** مع التفسير **التحليلى** للقرآن الكريم ، ولكن بخطوات بطيئة ، وبهذا خطا التفسير الموضوعى خطوة أخرى مهدت لإظهـــاره بمفهوم قريب من مفهومة الآن ، ومما يبرهن على ذلك وجود تـــأليف لـــبعض المباحث في علوم القرآن ألفها علماء كثيرون فى اهتمامات ومذاهب مختلفـــة ، وفى سنوات مختلفة كذلك ، **فعلى سبيل المثال :**

*** ألف فى مجاز القرآن كل من :**

- أبو عبيده (ت ٢٠٩ هـــ) .
- والشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـــ) .
- والعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـــ) .

* **وألف فى الناسخ والمنسوخ كل من :**
  - قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) .
  - وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) .
  - وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) .
  - وابن العربى المعافرى (ت ٥٤٣ هـ) .
* **ومن المؤلفين فى أسباب النزول :**
  - على بن المدينى (ت ٢٣٤ هـ) .
  - وأبو الحسن الواحدى (ت ٤٦٨ هـ) .
  - والسيوطى (ت ٩١١ هـ) .
* **ومن المؤلفين فى أمثال القرآن :**
  - الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) .
  - ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) .
* **وممن ألف فى الأشباه والنظائر وما شابهها :**
  - البلخى (ت ١٥٠هـ) فقد ألف كتابا أسماه " الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم " .
  - وألف يحى بن سلام (٢٠٠ هـ) كتابا على طريقة الأشباه والنظائر أسماه " التصاريف " .
  - وألف الدامغانى (ت ٤٧٨ هـ) كتابا بعنوان " إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم " .
  - وألف الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) كتابا فى مفردات القرآن تتبع فيه دلالات ورود الفظة القرآنية في مختلف الأيات .

- كما ألف ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) كتابا فى ذلك أسماه " نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر " .
- وألف الفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ) كذلك كتابه " بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز " .
- وألف ابن العماد (ت ٨٨٧ هـ) كتابا بعنوان " كشف السرائر فى معنى الوجوه والأشباه والنظائر " .

* وتوالت التأليف فى وجوه مختلفة ونواحٍ شتى ، فنجد **ابن قتيبة** (ت ٢٧٦ هـ) يؤلف كتاباً فى " تأويل مشكل القرآن " ، وكتاباً آخر في " تفسير غريب القرآن " .
- ونجد كذلك **ابن قيم الجوزية** (٧٥١ هـ) يؤلف كتاباً باسم " التبيان فى أقسام القرآن " .

* وهكذا تعددت مؤلفات العلماء فى موضوعات مختلفة من علوم القرآن على مدى قرون عديدة ، ويمكن أن نعد هذه المؤلفات إرهاصا للتفسير الموضوعى .

* وعلى الرغم من القيمة العلمية لهذه المؤلفات فإنها لم ترتق إلى مفهوم الدراسات فى التفسير الموضوعى بالمعنى المتعارف عليه اليوم ؛ لأنها ظلت فى دائرة دلالة الكلمة ، ولم يحاول مؤلفوها أن يربطوا بين معانى هذه الكلمة فى مختلف السور ؛ لذا انحصرت هذه المؤلفات فى إطار الدلالة اللفظية للكلمة فقط .

وقد غالى الدكتور **زياد الدغامين** عندما ذكر أن هذه المؤلفات " لا تدخل في نطاق التفسير الموضوعى للقرآن والسبب أن هذه الجهود وإن عالجت موضوعا مفردا ، لكن هذا الموضوع لم يقصد به حقيقة **التفسير** ، ولا التعرف على موقف القرآن من كل موضوع بعينه " .(١)

والحقيقة التى أراها أن الباحث الفاضل قد يكـــون محقـــا فـــى أن مـــؤلفى الدراسات السابقة لم يقصدوا بها حقيقة التفسير ، أو التعرف على موقف القرآن الكريم من موضوع بعينه فربما يكون ذلك صحيحا ، ولكن هذا لا يقلل من فضل هؤلاء العلماء وجهودهم فى وضع بعض لبنات التفســير **الموضـــوعى** وإن لـــم يقصدوا ذلك ، فلا شك أن مؤلفاتهم كانت بدايات مثمرة في التفسير **الموضوعى** توضح أسبقيتهم وفضلهم فى هذا المضمار ، فهم الذين وجهوا أنظار المحـــدثين إليه بمؤلفاتهم ؛ إذ لا يعقل أن يكون هذا اللون من التفســير وليـــد الثمانينـــات أو حتى السبعينات من القرن الماضـــى دون جـــذور أو إرهاصـــات قديمـــة ، ولايمكن أن تنشأ فكرة من فراغ ، ولا علم مكتمل الأركان من غيـــر أســـس ، وإن كانت هذه الأسس غير مقصودة .

* * *

(١) منهجية البحث فى التفسير الموضوعى ١٩ .

أما عن بدايات التفسير الموضوعى **للموضوع القرآنـــى** ، فيعـــد **الجـــاحظ** (٢٥٥ هـــ) أول من سلك مسلك **التفسير الموضـــوعى للموضـــوع القرآنـــى** بمعنى قريب من المعنى المتعارف عليه اليوم [(١)]؛ إذ تحدث فى كتابه " **الحيوان** " عن عدة موضوعات قرآنية مثل : " **النار في القرآن الكريم** " ، حيـــث تحـــدث عنها مبينا مواطن تعظيمها **في القرآن** الكريم بادئا بدار **القربان** التى جعلهـــا الله تعالى موضعا لامتحان إخلاص بنى إسرائيل والتعرف علـــى صـــدق نيـــاتهم ، ويستدعى الحديث عن بنى إسرائيل ذكر " **نار** " موسى عليه السلام وهذا يزيـــد فى تعظيم شأن **النار** ، وقدرها فى صدور الناس .

ثم تحدث **الجاحظ** بعد ذلك عن " **نار** " **إبراهيم** عليه السلام ؛ إذ عندما كانت النار بردا وسلاما بأمر الله - على **إبراهيم** عليه السلام زاد ذلك فى نباهة **النار** وقدرها فى صدور الناس .

ثم أعقب **الجاحظ** حديثه ، بذكر باب أخر **في** تلويه القرآن الكـــريم بشـــأن منافع **النار** بصفة عامة ، وذكر أنها من أكبر الماعون ، وأعظم المرافق ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصى لكان ذلك يزيد في قدرها وفي نباهة ذكرها ، ويحدث حديث العقل والمنطق في أن التخويف بالنار نعمة ، فقد عذب الله تعالى الأمم السابقة بأنواع مختلفة من العذاب ولـــم يبعـــث عليهم **ناراً** ، وقد نهانا الله تعالى أن نعذب بها أو أن نحرق بها شيئا من الهوام ، ومع ذلك جعلها الله تعالى وسيلة لتعذيب الإنس والجن يوم القيامة ، وهذا لـــيس بنعمة ولكنه تحذير بالخوف منها والوعيد بها .

---

(١) وقد نبهنى إلى ذلك الدكتور مصطفى الجويلى ، راجع فى ذلك ما كتبه عن الجاحظ فـــى كتابه : " مدارس التفسير القرآنى ١٥٨ - ١٦٠ .

وقد استشهد **الجاحظ** على ما ذكره كله بالآيات القرآنية الكريمة التى تحدثت عن النار ليبين صدق ما ذكره .(١)

وليست **النار** هى الموضوع الوحيد الذى تناوله **الجاحظ** بصورة موضوعية كما ورد في القرآن الكريم ، فقد ذكر أمثلة أخرى للتفسير الموضوعى مثل تناوله ما ذكر به **الكلب** في القرآن الكريم فقد ذكر مرة بالمدح ، ومرة بالذم (٢) ، وكذلك ما ذكر في القرآن الكريم من **الحيوان : كالعنكبوت والنمل والحمـــار والهدهـــد والغراب** ... وغيرها .(٣)

كما ذكر بعض أنواع **العذاب** فى القرآن الكريم مثل : **الحاصب والصيحة ، والغرق والحجارة** (٤) ، ويذكر **الجاحظ** فى موضع أخر من كتابـــه " **الحيـــوان** " أنواعاً أخرى من العذاب المذكور في القرآن الكريم مثـــل **الجـــراد ، والقمـــل ، والضفادع والطوفان** ، والدم .(٥)

وذكر الجاحظ كذلك تصوّر **الملائكة في** القرآن الكريم مثل تصور **الملائكة** الذين أتوا **مريم** ، وإبراهيم ، **ولوطا** ، **وداود** عليهم جميعا السلام على صـــورة **آدميين** .(٦)

---

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٤ / ٤٦١ - ٤٦٤ .
(٢) انظر الحيوان ٢ / ٨٦ .
(٣) انظر الحيوان ٤ / ٣٧ .
(٤) انظر الحيوان ٤ / ٤٦ - ٤٧ .
(٥) انظر الحيوان ٥ / ٥٤٦ - ٥٤٧ .
(٦) انظر الحيوان ٦ / ٢٢١ .

* ومع ذلك **فالجاحظ لم يطبق منهج التفسير الموضوعى بالصورة الدقيقة التى نعرفها اليوم ولكنه بلا شك كان مدركا لأصل الفكـــرة ، وهـــو أن يكـــون الموضوع القرآنى محورا للتفسير .**

* * *

* ومن الجهود التى بذلت فى هذا المضمار ، وأثمـــرت دراســـة ناضـــجة بالنسبة لعصرها كذلك ، درس **ابن قيم الجوزية** (٧٥١ هـ) لباب " **فى الطبـــع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة والحائل بين الكفر وبين الإيمان وأن ذلك مجعول للرب تعالى** " ، حيث عرض **ابن القيم** الآيات التـــى ذكـــرت هـــذه الكلمات ، مبينا آراء بعض الفرق الكلامية فيها ، ثم ذكر بعد ذلك الآيات الكريمة التى تعرضت لمعانى هذه الكلمات في جميع السور مع الشرح والربط .[١] .

وهى دراسة جيدة تطرق فيها **ابـــن القـــيم** لفكـــرة التفســـير الموضـــوعى للموضوع القرآنى ، لكن مرحلة التنظير لهذا النوع من التفسير بمنهجيـــة تعـــد مرحلة عصرية ، أنتجت مصادرها في العصر الحديث .

* * *

وإلى جانب المؤلفات السابقة التى اهتم بعضها بالكلمة القرآنيـــة ، واهـــتم بعضها الآخر بالموضوع القرآنى ، فهناك مؤلفات أخرى اهتم مؤلفوهـــا ببيـــان الوحدة الموضوعية في السورة الواحدة ، بل فى القرآن الكريم كله .

وقد كانت هناك إرهاصات لهذا الاتجاه عند كل من **الباقلانى والزمخشرى** .

(١) انظر شفاء العليل ١٨١ ٢٢٩ .

* فنجد الإمام **أبا بكر الباقلانى** (ت ٤٠٣ هـ) يحس بالوحدة الفنية بين أجزاء السورة وآياتها وقصصها المختلفة ، ويشعر بتناسق أسلوب السورة ، فنجده يقول في ذلك : " ثم انظر فى آية آية ، وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم ، وبديع الرّصف ؟ فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية ، وفى الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها مما تجرى فى الحسن مجراها ، وتأخذ فى معناها ؟ ثم من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل يقع فى نظم الفصل إلى الفصل وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل " .(١)

وقد عرض **الباقلانى** نماذج مختلفة لهذه الوحدة الفنية التى أحسها في السورة القرآنية ، فاستعرض كثيرا من آيات سورة " **النمل** " مبينا التناسق بين أسلوبها ، ووحدتها الفنية (٢) ، كما استعرض كثيرا من آيات سورة " غافر " منتهجا النهج نفسه الذى سلكه فى استعراض آيات سورة " النمل " مبينا الوحدة الفنية فى هذه السورة ، ومتتبعاً التناسق الأسلوبى بين آياتها .(٣)

ويرى **الباقلانى** أن هذه الوحدة الفنية ، وهذا التناسق الأسلوبى ليس خاصاً بسورة دون سورة ؛ بل هو فى كل القرآن فيقول : " ولست أقول هذا لك فى آية دون آية ، وسورة دون سورة ، وفصل دون فصل ، وقصة دون قصة ، ومعنى دون معنى " .(٤)

(١) إعجاز القرآن ١٩٠ .
(٢) انظر إعجاز القرآن ١٨٩ - ١٩٣ .
(٣) انظر إعجاز القرآن ١٩٧ - ٢٠٠ .
(٤) إعجاز القرآن ٢٠٠ .

ويؤكد **الباقلانى** هذا الأمر مرة أخرى بقوله : " ارفع طرف قلبـــك وانظـــر بعين عقلك، وارجع جلية بصيرتك إذا تفكرت في كلمة كلمة مما نقلنـــاه إليـــك ، وعرضناه عليك ، ثم فيما ينتظم من الكلمات ثم إلى أن يتكامل فصلا وقصـــة ، أو يتم حديثا وسورة ، لا بل فكر فى جميع القرآن على هذا الترتيب ، وتـــدبره على نحو هذا التنزيل فلم ندع ما ادعيناه لبعضه ، ولم نصف ســـا وصـــفناه إلا فى كله " .[١]

* كما التفت **الزمخشرى** (ت ٥٣٨ هـــ) إلى الوحدة الفنية فـــي الســـورة القرآنية فنجده عند تفسير قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** ﴾ [٢] وفى أثناء حديثه عن أسباب تقطيع القرآن الكريم إلى سور يذكر أن " التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظـــائر ، وملائمـــة بعضـــها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعانى ، ويتجاوب النظم " .[٣]

* ومع ذلك فلا يمكن أن نعد اتجاه كل من **الباقلانى ، والزمخشرى تفسيرا موضوعيا للسورة القرآنية بالمعنى الاصطلاحى المتعارف عليه** ، بل إن هـــذا الاتجاه مجرد إرهاص لهذا المنحى ، وإحساس هذه الوحدة الفنية فـــى الســـورة الواحدة ، ولكن هذا الإحساس لم يكتمل ، فلم تحظ السورة بنظـــرات ودراســـات متخصصة تكشف عن خصائصها ونظامها .

(١) إعجاز القرآن ٢٠٢ .
(٢) البقرة ٢ / ٢٣ .
(٣) الكشاف ١ / ٩٨ .

ولعل هذا الإرهاص كان اللبنة الأولى التى لفتت أنظار العلماء فيما بعد إلى النظر إلى الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية على نحو ما نجده عند **الـــرازى ، وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، والشاطبى ، والبقاعى** ، وفيما يلى توضـــيح ذلك :

(١) الإمـام الرازى :

أما الرازى (٦٠٦ هـــ) فقد اهتم بذكر المناسبة بين الآيات اهتماماً كبيراً ، إذ " لا يكتفى بذكر مناسبة واحدة ، بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة " .[١]

وكان **الرازى** – رحمه الله – يرى أن أكثر لطائف القـــرآن مودعـــة فـــى الروابط والمناسبات بين الآيات [٢] ، وكثيرا ما كان يجتهد " فى ربـــط أوصـــال الكلام وإحكام تسلسل المعانى ، والتنبيه على تولد بعضها من بعض حتى تلتهى بذاتها إلى المساس بمطالب حكمية ومسائل علمية يسوقها حينئذ على أنها حلـــق متممة سلســـلة المعنى المرتبط بأصل المفاد القرآنى علـــى أحكـــم وجـــه مـــن الربط " .[٣]

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٢٧٩ .

(٢) ولعل هذا ما جعل **الزركشى** يقول عند حديثه عن معرفة المناسبات بـــين الآيـــات : إن تفسير الـــرازى فيه شىء كثير من ذلك ، راجع البرهان ١/٣٥ - ٣٦ ، وراجع كذلك ما كتبه الدكتور محمد إبراهيم حول اهتمام **الرازى** بعلم المناسبات فـــى كتابـــه : " مـــنهج الفخر الرازى فى التفسير بين مناهج معاصريه : ١٠٥ .

(٣) مجموعة الرسائل الكمالية فى المصاحف والقرآن والتفسير ، الكتاب الخامس (التفســـير ورجاله) ٣٩٥ .

وعلى الرغم من أن علم المناسبات ليس خاصا بالتفسير الموضوعى فإنه عامل قوى ومهم يساعد المفسر عموما على الوصول إلى كشف المـــراد مـــن آيات القرآن الكريم ، وبيان أنها تنزيل من حكيم حميد .

وعلى هذا فإن زيادة الاهتمام بعلم المناسبات وتدبره يهدى المفسر إلى كشف الوحدة الموضوعية بين الآيات والسور .

وبالنظر إلى مواضع كثيرة فى " التفسير الكبير " نجد أن الرازى كان فـــي أحيان كثيرة يربط بين أول السورة وآخرها ، **ومن الأمثلة التى توضح ذلك مـــا** ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : **﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمـــا أُنـــزِلَ إِلَيْـــهِ مِـــن رَّبِّـــهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُـــلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾** [1]. **فقد قال بعـــد أن ربـــط هذه الآية بالآية السابقة عليها** " إن الله تعالى بدأ فى السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، وبين في آخر السورة أن الذين مدحهم فى أول السورة هم أمة محمد ﷺ فقال : ﴿ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ وهذا هو المراد بقوله فـــي أول السورة ﴿ الذين يؤمنون بالغيب﴾ ، ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا وهـــو المراد بقوله فى أول السورة :﴿ ويقيمون الصلاة ومما رزقنـــاهم ينفقـــون ﴾ ، قال ههنا :﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وهو المراد بقوله فـــي أول الســـورة ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ ، ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم إلى ربهـــم فـــي قوله : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ إلى آخر السورة ، وهو المـــراد

(١) البقرة ٢ / ٢٨٥ .

بقوله فى أول السورة : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحـــون﴾ ، فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها " .[١]

كما كان الرازى رحمه الله مدركا لأهمية إظهار توافق آيات القرآن الكـــريم وسوره ، لدرجة أنه عاب على جمهور المفسرين إعراضهم عن إظهـــار هـــذا التناسب ، فنجده يقول عند تفسيره للآية السابقة من سورة **البقرة** : " ومن تأمـــل فى لطائف نظم هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجـــز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبـــه ونظـــم آياته ، ولعل الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنـــى رأيـــت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور ، وليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته .·. والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا ، ويعلمنا ما ينفعنا بفضله ورحمته " .[٢]

وقد اهتم الرازى كذلك بإظهار المناسبة بين بعض السور ، والسور السابقة واللاحقة لها ، وخصوصا فى سور المفصل ، فنجده مثلا قبل تفســـيره لســـورة " **الكوثر** " يذكر أنها جاءت مقابلـــة للســـورة المتقدمـــة عليهـــا وهـــى ســـورة " **المـــاعون** " [٣] ، ويذكر كذلك " أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من الســـور ، وكالأصل لما بعدها من السور" [٤] ، ثم يستطرد ذاكرا وجه التناسب بين ســـورة

(١) التفسير الكبير ٧ / ١٣٨ - ١٣٩ .
(٢) التفسير الكبير ٧ / ١١٩ .
(٣) التفسير الكبير ٣٢ / ١١٧ .
(٤) التفسير الكبير ٣٢ / ١١٨ .

(الكوثر) وما قبلها من السور كسورة (الضحى) و (الشرح) و (التـــين) و (اقرأ) و (القدر) و (البينة) و (الزلزلة) و (العاديات) و (القارعة) و (التكاثر) و (العصر) و (الهمزة) و (الفيل) (قريش) و (الماعون) ، وقد أثبت **الرازى** بالفعل أن سورة (**الكوثر**) متممة للفضائل التى أعطاهـــا الله تعالى لرسوله ولأمته في السور السالفة الذكر ، وختم الله تعـــالى هـــذه النعمـــة بالنعمة العظمى التى تفوق ملك الدنيا بحذافيرها ، وهى " **الكوثر** " .

كما أثبت **الرازى** أن هذه السورة تعد أصلا لما بعدها من السور وهى سورة (الكافرون) و (النصر) و (المسد) و (الإخلاص) و (الفلق) و (الناس) .[١]

وكما كان **للرازى** فضل في ذكر المناسبات بين الأيات وبين الســـور فـــى تفسيره ، فإنه يعد أول من ذكر مفهوم وحدة الموضوع في السور القرآنية – وإن لم يطبق ذلك فى تفسيره لكل سور القرآن الكريم – ومن الأمثلة التى تؤكد ذلـــك ما ذكره فى أثناء تفسيره لسورة " فصلت " من أن اياتها مسوقة لغرض واحـــد وهو " ذكر الأجوبة عن قولهم ﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِـــي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** ﴾ [٢] ؛ فتارة يذبه علـــى فساد هذه الطريقة ، وتارة يذكر الوعد والوعيد لمن لم يؤمن بهذا القرآن ولمـــن يعرض عنه ، وامتد الكلام إلى هذا الموضع من أول الســـورة علـــى الترتيـــب الحسن والنظم الكامل " .[٣]

---

(١) انظر التفسير الكبير ٣٣ / ١١٨ / ١٢١ .

(٢) فصلت ٤١ / ٥ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧ / ١٣٤ .

ثم ذكر بعد تفسير قوله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (١) أن هذه الآية متعلقة بقوله تعالى :﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ (٢) ، ثم استطرد بعد ذلك قائلا بعد أن وضح مدى الترابط بين الأيتين إن : " كل من أنصف ولم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذى ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى أخرها كلاماً واحداً منتظما مسوقاً نحو غرض واحد " .(٣)

ومن هنا نتيقن أن الرازى هو أول من التفت إلى وحدة الموضوع فى السورة القرآنية ، وأشار إليه ، ولكن مما يؤسف عليه أن الرازى لم يطبق ذلك على جميع تفسيره لسور القرآن الكريم ، وليت هذا العالم الفذ اهتم بذلك كما اهتم بإظهار المناسبة بين الأيات والسور فى جل تفسيره .

وبهذا يكون للرازى – رحمه الله – قصب السبق فى القول بوحدة الموضوع في السورة الواحدة ، كما يرجع إليه فضل اكتشاف المناسبة بين الأيات والسور .

(٢) الإمام ابن تيمية :

وفى القرن الثامن الهجرى نجد ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ينادى بأن خير طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن . وكثف جهوده للبحث عن حلول ناجعة لقضايا عصره ومشكلاته على مائدة القرآن الكريم ، " فكان يعرض للأية خلال

(١) فصلت ٤١ / ٤٤ .
(٢) فصلت ٤١ / ٥ .
(٣) التفسير الكبير ٢٧ / ١٣٥ .

بحثه عن حل للمشكلة المعنية فنجده حين يعرض لمشكلة ما يجمع كـــل الأيـــات التى تتعلق بها في القرآن ، ثم يورد ما شاء من الأحاديث الموضحة والشارحة ، ثم يأتى بنصوص السلف من الصحابة التابعين ، فيجمع فـــي علاجـــه للمشـــكلة الواحدة بين نصوص القرآن والسنة، وأقوال السلف " .[١]

ومن هنا يتبين لنا أن الإمام **ابن تيمية** أدرك فكرة التفسير الموضـــوعى ، حيث ربط القرآن الكريم بواقع مجتمعه وقضاياه ، واجتهد في استنباط الحلـــول الناجعـــة لهذه القضايا والمشكلات من خلال استيعابه لآيات الـــذكر الحكـــيم ، ومعانيه المتقاربة المتعلقة بتلك المشكلات ، ومن خلال النظر في السنة الشريفة والأقوال المأثورة ، وذلك لإيضاح ما أبهم أو أجمل في القرآن الكـــريم ، وهـــذا غاية ما يهدف إليه التفسير الموضوعى في العصر الحديث .

وبهذا فإن الإمام **ابن تيمية** كان من السابقين إلى إدراك أهمية ربط القرآن الكريم بمشكلات المجتمع ، وذلك ما ينادى به مفسرو العصر الحديث ، وبنـــاء على ما تقدم نستطيع القول : إن **ابن تيمية** عرف التفسير الموضـــوعى بمعنـــاه الشامل وأدرك أهميته ، وإن لم يشر إلى طريقة البحث فيه أو إلى أنواعه .

وبالنظر فى تفسير **ابن تيمية** – الذى بين أيدينا – نلحظ أنه تفســـير شـــبه كامل للقرآن الكريم باعتبار سوره لا باعتبار آياته ، **فابن تيمية** كـــان يـــرى أن هناك من الآيات ما لا يحتاج إلى تفسير .[٢]

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ١ / ١٤ .
(٢) انظر دقائق التفسير ١ / ١٣ .

كما نجد أن **ابن تيمية** لم يهتم بتفسير آيات السورة بترتيبها نفسه في المصحف الشريف ، ولم يهتم كذلك بتفسير كل آيات السورة ، كما أنه لم يول عناية بمشكلات اللغة ، والنحو ، والإعراب ، كما حمل حملة شعواء على الإسرائيليات المدسوسة في التفاسير المختلفة .

وقد طبق ابن تيمية منهجه التفسيرى هذا على كثير من السور ، فنجده مثلا عند تفسيره لسورة (**البقرة**) يعرض مجمل المعانى التى تضمنتها السورة الكريمة ، ثم يتحدث عن دقائق هذه السورة التى أشكل تفسيرها على كثير من المفسرين فأخطأوا في تأويلها مثل معنى : (**الغيب**) و (**الشهادة**) و (**النسخ**) وما إلى ذلك ، ثم ختم تفسيره لسورة (**البقرة**) بذكر بعض الدقائق التى ذكرت في خواتيم السورة الكريمة ، وهو فى ذلك كله يربط الآيات الكريمة بالأحداث والمشكلات الجارية في مجتمعه .[١]

وكذلك نجده عند تفسيره لسورة (**النور**) يصدرها بفصل في المعانى المستنبطة منها ، تخلله فصول أخرى تحدثت عن القضايا التى تناولتها سورة (**النور**) ، وربطها بالحياة الاجتماعية ، وكيفية تطبيقها ، مستشهدا على ذلك كله بالآيات المشابهة لها في القرآن الكريم ، وبسنة الرسول ﷺ وبالمأثور عن صحابته وتابعيتهم رضوان الله عليهم .[٢]

---

(١) انظر دقائق التفسير ١ / ١٩٥ – ٢٧٠ .

(٢) انظر دقائق التفسير ٤ / ٣٨٠ – ٤٨٣ .

* وهناك سور كثيرة طبق **ابن تيمية** منهجة التفسيرى فيها ، أذكـــر منهـــا على سبيل المثال : سورة (**المائدة**) ، وسورة (**مريم**) ، وســـورة (**طـــه**) ، وسورة (**الحج**) ، وسورة (**الإنسان**) ، وسورة (**الكوثر**) .[١]

وخصص جل الجزء السادس من تفســـير **ابـــن تيميـــة** لتفســـير ســـورة (**الإخلاص**) و (المعوذتين) [٢] ، حيث حول **ابن تيمية** كل أية من أيات سورة (**الإخلاص**) إلى بحث مستقل يجول في مضمونه خلال أيات القـــرآن الكـــريم كله ، وربط آيات هذه السورة الكريمة بأيات كثيرة من القرآن الكريم ، وختم هذا التفسير العظيم بفصل فى سورتى (الفلق) و (الناس) وما بينها من مناسبة . .

(٣) الإمام ابن قيم الجوزية :

* ويأتى بعد **ابن تيمية** تلميذه **ابن قيم الجوزية** (ت ٧٥١هـــ) رحمهما الله ليؤكد الوحدة المعنوية للسورة التى عرفت فيما بعد بالوحدة الموضوعية فنجـــده يقرر عند تفسيره لبعض السور أنها سيقت لغرض واحد ، وأحيانا كان يصـــدر تفسيره لبعض **السور** بذكر ما اشتملت عليه **السور** الكريمة من معان ، والأهداف التى نزلت السورة لتحقيقها .[٣]

---

(١) انظر مواضع بداية تفسير هذه السور فى " دقائق التفســـير " علـــى الترتيـــب : ٣/٥ ، ٣٣٨/٤ ، ٤ / ٣٤٢ ، ٣٧١/٤ ، ٢١/٥ ، ٣١١/٦ .

(٢) انظر دقائق التفسير ٦ / ٣٥٥ ٥١٠ .

(٣) انظر على سبيل المثال تفسير **ابن القيم** لسورة الفاتحـــة فـــى التفســـير **القـــيم** : ص ٧ وما بعدها .

وأحيانا كان يتحدث عن أهمية السورة ، ومدى حاجاتنا إليها .(١)

وقد ذكر الدكتور **محمد أحمد السنباطى** أن **ابن القيم** يعد رائـــدا للمدرســـة العقلية الحديثة فى التفسير ، التى نادت بتقديم أهداف السورة ، وروحهـــا التـــى ترتبط بين أجزائها ، وتجعل كل جزء منها خادما للأخر ومخدوما منه قبل تفسير السورة ، وذلك لاهتمامه بإبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسورة القرآنية .

ويستطرد الدكتور السنباطى ذاكراً أن **ابن القيم** في ذلك **مبتكـــر لا متبـــع ومجدد لا مقلد** ، وبالرغم من تلمذته على **ابن تيمية** فإنه كان أكثر دقة واتزانـــا وتنظيما في عرض أفكاره من أستاذه ؛ إذ عرضها بصورة مبتكرة جذابة جعلته رائدا لمدرسة مازالت تعيش بين ظهرانينا ، تلامذتها من كبار الأئمة والعلماء.(٢)

وأضاف الدكتور **السنباطى** أن سبب سلوك **ابن القيم** هـــذا المـــنهج هـــو " تشوقه الدائب إلى إبراز عظمة القرآن الكريم ، وتكامل سوره ، وارتباط أجزائها المشدود بعضها إلى بعض ضمن إطار عام يمثل الهدف الأساسى الـــذى تتجـــه السورة إلى خدمته بحيث تكون كل آيه فيها تمثل لبنة من اللبنات المتممة لبنـــاء صرح وطيد الأركان " .(٣)

---

(١) انظر على سبيل المثال تفسيره لسورة (التكـــاثر) فـــى التفســـير القـــيم ٥١٣ - ٥٢٤ وتفسيره (للمعوذتين) فى التفسير القيم : ٥٣٥ وما بعدها .

(٢) انظر منهج ابن القيم فى التفسير : ٨٤ ، ويقصد الدكتور **السنباطى** بكبار الأئمة والعلماء الشيخ / **محمد عبده** ، وتلميذه الشيخ / **محمد رشيد رضا** ، ثم بعد ذلك الشيخ / **محمـــود شلتوت** ، والشيخ / **محمد المدنى** ، والدكتور/ **محمد عبد الله دراز** .

(٣) منهج ابن القيم فى التفسير : ٨٨ .

* وأرى أن الدكتور **السنباطى** بالغ كثيراً عندما عد **ابن القيم** مبتكراً فـي تصريحه بالوحدة المعنوية أو الموضوعية للسورة ، ورائدا للمدرسة الحديثة التى اهتمت بتقديم أهداف السورة ، وروحها العامة ، والمناسبة بين آياتها قبل تفسيرها ، **فقد أثبت البحث أن هناك من سبق ابن القيم فى هذا المضمار ، وأن الرازى رحمه الله هو أول من نطق بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية وأنها تدور حول هدف واحد ، وله جهود كثيرة فى إبراز ارتباط آيات السورة الواحدة بعضها ببعض** ؛ لذا فمن المبالغة أن نقول : **إن ابن القيم فى ذلك مبتكر ومجدد لا متبع ومقلد ، وليس من الإنصاف أن نعده رائدا للمدرسة العقية الحديثة فى التفسير** .

ومن جهة أخرى فإن **مفهوم الوحدة الموضوعية لم يكن واضحا تمام الوضوح عند المتقدمين** ، فقد اقتصر من تنبه إليه منهم على بيان غرض أو أغراض السورة مع محاولة ربط بعض آياتها ببعض حتى تظهر السورة في وحدة متكاملة ، مع ملاحظة أنهم لم يربطوا جميع آيات السورة بغرضها الرئيس ، كما أنهم لم يتبعوا هذا فى كل سورة من سور القرآن الكريم التى يفسرونها .

وفضلا عن ذلك فإن المتصفح للتفسير القيم – الذى احتوى على كثير من تفسيرات ابن القيم – يلحظ أن **ابن القيم** قليلا ما يذكر أهداف السورة وأغراضها الرئيسة [١] ، ولعل ذلك اقتصر على بعض السور مثل سورة (**الفاتحة**) ،

(١) وللتأكد من ذلك راجع على سبيل المثال تفسيره لسورة البقرة فى التفسير القيم ١١٣ – ١٧٣ ، وسورة آل عمران ١٧٤ ٢١٨ ، وسورة الرعد ٣٢٠ ٣٢٥ ، وسورة يس ٤١٠ ٤١٢ ، وغير ذلك كثير .

وبعض قصار السـور ، مثـل سـورة (**التكـاثر**) وسـورة (**الكـافرون**) و (**المعوذتين**) ، وليس الأمر فى جميع سور القرآن الكريم كما يفهم من كلام الدكتور **السنباطى** ، ومن ناحية أخرى نلحظ أن هذا التفسير لا يشـمل تفسـير جميع آيات السور إلا قليلا .

(٤) الإمـام الشاطبى :

* وفى نهاية القرن الثامن الهجرى يتحدث **الشاطبى** (ت ٧٩٠ هـ) عن الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم بمفهوم قريب من مفهومها فـى العصـر الحديث ؛ حيث ذكر أنه لا بد من ربط الآيات الدازلة فى قضية واحـدة حتـى يتسنى لنا معرفة مقصود الشارع الحكيم في فهم المكلف ، أما إذا نظرنـا فـى بعض أجزاء الكلام دون بعضه الآخر فإننا لا نتوصل إلى مراد الله تعالى .[١]

ويقسم **الشاطبى** سور القرآن الكريم **قسمين** :

قسـم : أنزل في قضية واحدة طالت أم قصرت ، وعليه أكثر سور المفصل .

وقسم آخر : أنزل فى قضايا متعددة ، كسـورة (البقـرة) و (آل عمـران) و (النساء) و (العلق) وغيرهم ، ويؤكد **الشاطبى** على أن كل سورة من سور القرآن الكريم فى كلا **القسمين** تشتمل على وحدة فلية تتعلق بالنظم ؛ لذا فيجـب النظر فى جميع السورة كوحدة واحدة ، وبهذا تتحقق بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم ، أما السورة المشتملة على أكثر من قضية فإنه لابد من دراسة كل قضية

(١) الموافقات فى أصول الشريعة ٣ / ٤١٣ .

فيها على حدة ليست فى السورة التى تفسرها فحسب ، بل في جميع سور القرآن الكريم .[١]

وتوّج الشاطبى كلامه بذكر نموذجين لتفسير سورتين كريمتين **أحـدهما** : سورة (البقرة) ؛ حيث ذكر أنها كلام واحد باعتبار النظم ، ولكنها احتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها من قضايا ، ثم عدد الشاطبى بعض القضايا التى تحدثت عنها السورة الكريمة ، مع التمثيل لها ، ومحاولة الربط بـين هـذه القضايا أو الموضوعات ، ذاكرا أن " **منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بـين يدى الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم ، ومنها ما هو المقصـود في الإنزال** ، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، **ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك** " .[٢]

والأخـرى : سورة (المؤمنون) : وذكر أنها نازلة في قضـية واحـدة ، وإن اشتملت على معان كثيرة ، شأنها شأن أغلب السور المكية التى جاءت لتقر ثلاثة معانى – أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعـالى – وهـى : تقرير الوحدانية لله تعالى ، وتقرير النبوة للنبى ﷺ ، وإثبات أمر البعـث فـي الآخرة ، ويعود الشـاطبى ليؤكد أن هذه المعانى الثلاثة موجـودة فـى سـورة (المؤمنون) على أوضح الوجوه ، **إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفـار للنبوة ، التى هى المدخل للمعنيين الباقين** .

(١) انظر الموافقات ٣ / ٤١٤ ٤١٥ .

(٢) الموافقات ٣ / ٤١٥ ، وانظر نماذج من أمثلة الأقسام التـى قسـمها فـى ٣ / ٤١٥ – ٤١٦ .

ويسترسل **الشاطبى** بعد ذلك في ذكر المعانى التى اشتملت عليهـا سـورة (**المؤمنون**) مع ذكر أمثلة من آياتها الكريمة ، ثم ذكر في نهاية تفسـيره لهـا أن : **هذا البيان إجمالى لا تفصيلى ، ولو فصل الكلام فيها لظهر ارتباط أجـزاء السورة بعضها ببعض بصورة أوضح** .(١)

وفى نهاية تفسير **الشاطبى** لسورة (**المؤمنون**) تفسير موضـوعيا وجـه الدعوة لغيره لتفسير سائر **سور القرآن الكريم** تفسيرا موضوعيا ؛ إذ يقـول : " ومن أراد الاختبار فى سائر سور القرآن فالباب مفتوح ، والتوفيـق بيـد الله ، فسورة (**المؤمنون**) قصة واحدة فى شيء واحد ... وعلى حذو مـا تقـدم مـن الأمثلة يحتذى فى النظر فى القرآن لمن أراد فهم القرآن والله المستعان " .(٢)

ولم تقتصر جهود **الشاطبى** على بيان أن لكل سورة من سور القرآن الكريم وحدة فنية متعلقة بالنظم ، بل نبه على أن جميع سور القرآن الكريم كلام واحد ، لا تعدد فيه كالبنيان يشد بعضه بعضا " أى يتوقف فهـم بعضـه علـى بعـض بوجه ما ، وذلك أنه يبين بعضه بعضا حتى إن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر ، أو سورة أخرى ، ولأن كل ملصوص عليه فيـه مـن أنواع الضروريات مثل مقيد بالحاجيات ، فإذا كان كذلك فبعضه متوقـف علـى البعض في الفهم ، فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد ، فالقرآن كلـه كـلام واحد بهذا الاعتبار " .(٣)

---

(١) انظر الموافقات ٤ / ٤١٦ - ٤١٩ .

(٢) الموافقات ٤ / ٤١٩ .

(٣) الموافقات ٣ / ٤٢٠ .

ومن العرض السابق والموجز **لجهود الشاطبى في** مضمار التفسير يتبين لنا أن **للشاطبى** جهدا كبيرا في القول **بالوحدة الموضوعية** أو وحدة النظم – كمـــا ذكر – في السورة القرآنية .

كما كان له **فضل فى القول بوجود وحدة تربط القرآن الكريم بعضه ببعض** فهو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وتمثل كل سورة لبنة من لبناتـــه ، وهذا غاية ما نادت به المدرسة الحديثة في التفسير بريادة الإمام **محمد عبده** .

ومما يؤسف عليه أن **الشاطبى** لم يطبق كلامه هذا إلا على بعض أجزاء من سورة (**البقرة**) ، وعلى سورة (**المؤمنون**) ، ولم يحاول – فيما أعلـــم – أن يفسر **القرآن الكريم** في ضوء نظرته هذه ، مما جعل كلامه هذا كلامـــا نظريـــا أكثر منه تطبيقيا ، ولكنه نادى غيره أن ينظر **فى القرآن الكريم** فى ضوء هـــذه النظرة ، وذكر أن الباب مفتوح أمام الجميع . **ولو تعمق الشاطبى – رحمـــه الله – فى تطبيق هذا الكلام النظرى في كل سور القرآن الكريم لكـــان لـــه فضـــل اكتشاف وجهة تفسيرية رائعة للقرآن الكريم وتطبيقها يدعى بعضهم أنها وليدة العصر الحديث ، وبهذا يكتب للشاطبى – رحمه الله – سبق علمى رائـــع فـــي مجال الدراسات التفسيرية للقرآن الكريم .**

(٥) الإمام البقاعى :

* وفى القرن التاسع الهجرى ألف **البقاعى** (ت ٨٨٥ هـــ) تفسيرا كـــاملا للقرآن الكريم أسماه " **نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور** " أشاد فى مقدمتـــه بالجهد الذى بذله فيه ، وتفاخر بأنه " كتاب عجاب رفيع الجناب **في** فن ما رأيت

من سبقنى إليه ، ولا عول ثاقب فكره عليه [١] ، أذكـــر فيـــه – إن شـــاء الله – مناسبات ترتيب السور والآيات " .[٢]

وأضاف **البقاعى** أن : **علم المناسبات يعرف منه علل الترتيـــب** ، وبـــذلك نطلع على رتبة الآيات التى نفسرها باكتشاف تعلقها بما قبلها ، وما بعدها مـــن آيات ، وبذلك نعرف علل ترتيب أجزاء **القرآن الكريم** ، وتتوقف الإجادة فى هذا العلم على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ، ولا يتسنى معرفة مقصود السورة إلا بمعرفة المقصود من جميع آياتها ؛ لذا فإن علم المناسبات في غايـــة النفاسة ، ونسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو .[٣]

وبتصفح تفسير **البقاعى** نجد أن طريقته فى تفسيره للسور القرآنية تتلخص فى بيانه لمقصود السورة العام ، ومدى وضوح دلالة اسمها على مقصودها ، ثم يفسر بسملة كل سورة على حسب موضوعها ، وقبل أن يشرع فى تفسير السورة الكريمة يربطها بالسورة السابقة لها ، ليوضح التناســـب بـــين الســـورتين [٤] ،

(١) ويقصد **البقاعى** بذلك أنه لم يفسر أحد من قبله القرآن الكريم تفسيرا كاملا فـــى ضـــوء نظرية التناسب كما فعل هو ، بدليل أنه أقر بفضل من سبقه إلى هذا المـــنهج ، وذكـــر جهودهم فى هذا المجال مثل أبى جعفر الأندلسى شيخ أبى حيان ، والزركشى ، والرازى .. وغيرهم ، انظر نظم الدرر ١ / ٥ ٦ .

(٢) نظم الدرر ١ / ٣ .

(٣) انظر نظم الدرر ١ / ٥ .

(٤) انظر على سبيل المثال تفسيره لسورة " المائدة " وسورة " النحل " وسورة " الحجرات " وسورة " المجادلة " انظر على الترتيب **نظم الدرر** : ٢ / ٣٨٤ ٥٨٧ و ٤ / ٢٤٣ ٣٢٦ و ٧ / ٢٢٠ ٢٤٢ و ٧ / ٤٧٤ ٥٠٨ .

واستمر فى ذلك حتى تفسيره لسورة (الناس) ؛ إذ ربطها بسورة (الفاتحة) ، لأنه – رحمه الله – كان يرى " **أنه لا وقف تام فى كتاب الله ، ولا علـى آخـر سورة ((قل أعوذ برب الناس)) ، بل هـى متصـلة بكونهـا آخـر القـرآن (بالفاتحة) التى هى أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد** " .(١)

وبعد أن يوضح **البقاعى** التناسب بين السورة التـى يفسـرها ، والسـورة السابقة لها ، يفسر كل آية من آيات السورة تفسيرا تحليليا مع ربطه لكل جزء من أجزاء الآية بالجزء الأخر ، وبعد أن ينتهى من تفسير الآية ، يربط كل آيـة بالتى قبلها ، وبعد أن ينتهى من تفسير آيات السورة يربط خاتمتها بمطلعها . **وقد فعل البقاعى ذلك فى جميع سور القرآن الكريم ، مما جعل تفسيره مميزا .**

وهكذا تتضح لنا مدى نفاسة هذا التفسير ، الذى بذل فيه **البقـاعى** جهـدا مشكورا ، يتمثل فى ربطه بين أجزاء السور وآياتها ، وقد كشف لنا بجهده **ترابط القرآن الكريم بعضه ببعض وأكد على ضرورة الانتباه إلى الوحدة فيه والسعى لتطلبها .**

ويحق **للبقاعى** – رحمه الله – **الفخر بهذا العمل الرائع المتميز حقا** ، الذى أستنفد منه جهدا ووقتا كبيرين **فالمناسبات** على قدر وضوحها لنا بعد قراءتها فى أى تفسير يظهرها ، كانت غامضة غموضا شديدا قبل اكتشـافها ، وقـد نبـه **البقاعى** على ذلك فى مقدمة تفسيره حيث قال : " فلا تظن أيها الناظر لكتابى هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها ، والرفع لستورها ، فـرب آيـة أقمت فى تأملها شهوراً ... ومن أراد تصديق ذلك **فليتأمل شيئا من الآيات قبـل**

(١) نظم الدرر ١ / ٩ .

أن ينظر ما قلته ، ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت ، وما حصل لى من قبـــل الله ، ومن العون ، سواء كان ظهر له وجه لذلك عند تأمله ، أو لا " .(١)

وقد ألف **البقاعى** رحمه الله غير هذا التفسير كتابا أخر أسماه (مصـــاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) جمع فيه كثيرا من علوم القرآن ، ثم أتبعه بعد ذلك ببيان **مقاصد سور القرآن الكريم** ، وهذا يوضح لنا مدى عناية **البقاعى** بهذا العلم ، حيث قال عند حديثه عن سبب تأليفه لهذا الكتاب : " عملـــت هـــذا الكتاب الذى محصله : أن من عرف المراد من اسم السورة ، عرف مقصودها ، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب أيها وقصصها وجميع أجزائها ... فـــإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وأخرها ويستدل عليه منها ، فترتـــب المقدمات الدالة عليه ، على أتقن وجه ، وأبدع نهج ، وإذا كان فيها شىء يحتاج إليه دليل استدل عليه " .(٢)

ويعد **الجزء الذى خصصه البقاعى لبيان مقاصد السور من كتابه (مصاعد النظر)** فى معظمه اختصاراً لتفسيره " نظم الدرر " وقد أشار **البقاعى** إلى ذلـــك فى مقدمة كتابه " **مصاعد النظر** " (٣) ، كما نبه على ضرورة الاشـــتغال بهـــذا الكتاب قبل الشروع فى التفسير " فإنه كالمقدمة له من حيث إنه كالتعريف ، لأنه معرفة كل سورة إجمالا " .(٤)

---

(١) نظم الدرر ١ / ٨ ٩ .
(٢) مصاعد النظر : ١٤٩ .
(٣) انظر مصاعد النظر : ١٥٣ .
(٤) مصاعد النظر : ١٥٥ .

والطريقة التى اتبعها **البقاعى** فى حديثه عن مقاصد السور فى هذا الكتـــاب تتلخص فى أنه يبدأ كل سورة ببيان مكيتها أو مدنيتها وإن وجد خلاف حولهـــا ، أو حول بعض آياتها يذكره ، ثم يذكر رأيه مدعما بالدليل ، ثـــم يـــذكر **أســـماء السورة** – إن كان لها أكثر من اسم – وأحيانا يربط بين كل اسم وما يدل عليه ، ويتبع ذلك بذكر عدد آيات السورة ، ثم يتحدث عن مقصود السورة ، ويربط بين مقصودها وبين اسمها التى اشتهرت وعرفت به ، ثم يسرد الأحاديث الواردة في فضائل السورة ، أو ما ورد من أحاديث حول أحد آياتها ، وأحيانا كان يبين لنـــا درجة الحديث .

*** وبهذا يتضح لنا مدى فضل البقاعى على مفســـرى العصـــر الحـــديث ، الذين اهتموا بتفسير القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا .**

(٦) الإمـام السيوطى :

* ويأتى **الإمام السيوطى** (ت ٩١١ هـــ) فيتحدث – فى أكثر من مؤلـــف من مؤلفاته – عن علم **المناسبات** ، وفائدته فى جعل أجزاء الكلام بعضها آخـــذ بأعناق بعض وبذلك يقوى الارتباط ويصبح كالبناء المحكم .[١] كما ذكر أن آيات القرآن الكريم " متتالية يناسب بعضها بعضا تماما فهى ملسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، وإن كل سورة مرتبطة بما قبلها وما بعدها أروع ارتباط " .[٢]

(١) انظر الإتقان ٢ / ١٠٨ ، وقد عد السيوطى مناسبة آيات القرآن وسوره وارتباط بعضها ببعض من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، انظر معترك الأقـــران فـــى إعجـــاز القـــرآن للسيوطى ١ / ٥٤ وما بعدها .

(٢) تناسق الدرر فى تناسب السور ، مقدمة المؤلف : ١٧ .

وقد ألف **السيوطى** في ذلك كتابا أسماه " **تناسق الدرر فى تناسب السـور** " تحدث فيه عن **مناسبات** ترتيب السور الكريمة ، ومدى ارتباط كل سورة بخاتمة السورة السابقة لها ، وارتباط خاتمتها بالسورة اللاحقة لها فى الترتيب ، فنجـده مثلا يقول عند حديثه عن سورة (**القيامة**) إنه " لما قال – سبحانه – فى آخـر (**المدثر**) ﴿ **كلا بل لا يخافون الآخرة** ﴾ [١] بعد ذكر **الجنة والنار** ، وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ، ذكر فى هذه السورة الدليل على البعث من أوجه ، ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ، ثم ذكر ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن ، ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق فذكرت الأحوال الثلاثة فى هـذه السـورة على عكس ما هى فى الواقع " .[٢]

ومن هنا تتحقق لنا عناية **السيوطى** بالمناسبات بين السور في أكثـر مـن مؤلف من مؤلفاته ، ولكنه لم يتحدث فى أى منها عن الوحدة الموضـوعية فـى سور القرآن الكريم ، حتى في تفسيره " **الدر المنثور في التفسير بالمـأثور** " ، ولكنى ذكرت عمل **السيوطى** هذا – فى أثناء حديثى عن التفسير الموضوعى – لما بين ذكر المناسبات بين الأيات والسور ، وبين التفسير الموضـوعى لسـور القرآن الكريم من علاقة وصلة وثيقة . **ومع أن علم المناسـبات بـين الآيـات والسور لا يستغنى عنه مفسرو القرآن الكريم بصفة عامة فإنه يعد لبنـة مـن لبنات التفسير الموضوعى للسورة القرآنية .**

* * *

(١) المدثر ٧٤ / ٥٣ .

(٢) تناسق الدرر فى تناسب السور ٩٠ .

ومن العرض السابق ، الذى وضح لنا جهود العلماء فى التفسير الموضوعى منذ عصر التدوين إلى نهاية القرن التاسع الهجرى تقريبا ، يتضح لنا أن العلماء الأوائل بذلوا جهدا كبيرا فى تفسير كتاب الله تعالى من نواح مختلفة : فقهيـــة ، ونحوية ، وبلاغية ، وأدبية ... إلخ .

وفى مجال تفسير **الموضوعات القرآنية** نجد أن **القدماء** أدركوا أصل هـــذه الفكرة وتحدثوا عن بعض الموضوعات – وإن كان ذلـــك فـــي حـــدود ضـــيقة ومحدودة – كما كان لهم الفضل والسبق فى اكتشاف الوحدة الموضـــوعية فـــي السورة القرآنية ، بل فى القرآن الكريم كله – كما أشار إلى ذلك الشاطبى – وإن كانت هذه الاكتشافات لا تمثل اتجاها تفسيريا يحتذى به .

* وبهذا نستطيع الرد على بعض **المحدثين** الذين اعتقدوا أن القول بالوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم ومحاولة إثباتها بالتطبيق العملى أتى من أصحاب المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير كرد فعل على قول بعض المستشرقين أمثال **دوزى وكارليل** الذين زعموا أن القرآن الكريم جـــاء ســـيئ الترتيـــب ، مفكـــك الأجزاء ، مشتت المعانى والأغراض ؛ لذا ركز أصحاب هذه المدرسة جهودهم لإثبات الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية لدرجة أنهم ردوا من التفاسير كل ما يخالف الهدف الذى سيقت له السورة حتى يكون موضوع السورة أساساً فـــى فهم آياتها .[١]

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفســـير ٢٢٤ – ٢٢٥ ، وانظر كذلك النظم الفنى فى القرآن للدكتور عبد المتعال الصعيدى ٣ – ٤ .

وبعد هذه الأعمال الخالدة فى خدمة كتاب الله تعالى أصيب تفسير القـــرآن الكريم ، ومعه التفسير الموضوعى ، بفترة ركود طويلة خاليـــة مـــن التجديـــد والابتكار امتدت إلى العصر الحديث .

والحقيقة أن هذا الركود لم يصب مجال التفسير فقط ، ولكنه أصاب جـــل العلوم فى هذه القرون التى سبقت النهضة العلمية الحديثة في الشـــرق ، وهـــى الفترة التى أصيب فيها المسلمون بالجمود والتخلف والتقوقع داخـــل أنفســـهم ، فتحجرت عقولهم وعجزت عن التجديد والابتكار ؛ لذا لجئوا إلى تقليد الأخرين . وبقى التفسير الموضوعى عند هذه المرحلة ، حتى عصر النهضة العلمية الحديثة التى شملت كل العلوم ، وأحاطتها بالعناية والدراسة ، وعلى رأسها علم التفسير؛ فقد حاول المفسرون تحريره من قيد الركود الذى أصابه ونظروا فـــي القـــرآن الكريم نظرة ثاقبة أثرت في الاتجاه التفسيرى للقرآن الكريم على نحو ما ستكشف عنه الدراسة في الصفحات القادمة إن شاء الله .

المرحلة الثالثة : التفسير الموضوعى فى العصر الحديث :

خطا التفسير الموضوعى فى العصر الحديث خطوة واسعة ، أكملت بنيانه حتى أصبح علما معروفا قائما بذاته ، له منهج وخطوات يجب أن تتبع فى بحثه.

ومع اعترافنا بجهود السابقين فى هذا المضمار لا ننكـــر فضـــل أربـــاب المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير فى تنمية هذا الاتجاه ، وإن كانت " أعمـــالهم لم تكن فى جملتها إلا استمدادا لأعمال السابقين من المفسرين ، ولكـــن اختيـــار الفكرة من بين عديد من الأفكار التى يقدمها المفسر القديم ، وترجيح هذا الاختيار

بالتعليل الواضح ، وتطبيق فكرة النص على ملابسات العصر الحديث ، وربطها بظروف المجتمع المعاصر ، وملاحظة الواقع الحضارى الذى يعيش فيه المفسر ، كل ذلك عملية كان لها صعوبتها ودلالتها على عقلية المفسر الجديد " .[١]

وبالإضافة إلى ما سبق فإن أصحاب هذه المدرسة حـــاولوا تعميـــق هـــذه الفكرة ، والتمثيل لها ، وتطبيقها تطبيقا منهجيا ، فتبلوا هذا الاتجاه التفســـيرى ، وبينوا أهميته ، وربطوا الدين بالواقع الاجتماعى والفكرى والسياسى والاقتصادى للمجتمع ، وهذا بدوره مهد لوضع المناهج النظرية والخطوات التى يجب أن تتبع في البحث في التفسير الموضوعى وتوجيه نظر الباحثين إلى هـــذا النـــوع مـــن التفسير ، وقد أسفر ذلك عن دراسات موضوعية كثيرة أبرزت وجها من وجـــوه الإعجاز في القرآن الكريم .

ومن هنا نستطيع القول أن هذه الفكرة لم تتضح ، أو تطبق على نطاق واسع إلا في العصر الحديث .

* ولعل أول من فتح هذا الباب في العصر الحديث الإمام **محمـــد عبـــده** ؛ حيث سار نحو التفسير الموضوعى بخطوات حثيثة ، وذلك في محاولة منه لتنقية التفاسير المختلفة مما علق بها من استطرادات لحوية وبلاغية ، وشوائب عقدية ومذهبية وتفريعات فقهية ، وإسرائيليات ، وما إلى ذلك ؛ لأن هذا يشغل قـــارئ التفسير عن مقاصد القرآن العالية ، وهداياته السامية [٢] ، وبما أن هذه التفاســـير تمثل تراثا ضخما ، وتنقيتها من الأمور السابقة يتطلب إمكانيات كثيـــرة ماديـــة

(١) قضايا إنسانية فى أعمال المفسرين د.عفت الشرقاوى : ٨٤ .

(٢) انظر تفسير المنار ١ / ٨ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وبشرية ، وزمنا طويلاً ، فقد كانت " الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجـــه العنايـــة الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذى يتـــفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه ، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح " .(١)

وبالفعل فسر الإمام محمد عبده جزء (عم) إلقاء ، وكتابة لطلبة " الجمعية الخيرية الإسلامية " ، التى أسسها لتربية أبناء الفقراء دينيا وأكاديميا ، كما فسر سورة (العصر) تفسيرا مستقلا وألقاه في الجزائر وطبع بعد ذلك مستقلا ، وهو تفسير غير تفسيرها فى جزء (عم) .(٢)

ثم بدأ الإمام فى تفسير القرآن الكريم إلقاء فى الأزهر الشريف ليحقق أهدافه المنشودة .(٣)

---

(١) تفسير المنار ١ / ١٠ - ١١ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) انظر تفسير المنار ١ / ١٢ – ١٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) وكان ذلك بناء على اقتراح وإلحاح من تلميذه الشيخ **رشيد رضا** ، وقد بدأ الإمام **التفسير** فى غرة محرم سنة سبع عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة ، وانتهى منه فـــى منتصـــف محـــرم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة علـــد تفســـير الآيـــة السادســـة والعشرين بعد المائة من سورة ((النساء)) ، حيث توفى الإمام فى شهر جمادى الأولـــى من السنة نفسها ، وقد جمع الدكتور محمد عمارة للإمام إلى جانب ما سبق ذكـــره **تفسيرا لآيات متفرقة فى موضوعات مختلفة** ، وهى : تفسيره للآيات من (٥٢ ٥٥) من سورة ((الحج)) ، وتحتوى على قصة (**الغرانيـــق**) ، وتفســـيره للآيـــــات من (٢ ٣٧) من سورة ((الأحزاب)) وتحتوى على مسألة (**زيد وزينب**) ، وختم تفسير الإمام بإيراد تفسيره للجزء **الثلاثين** من القرآن الكريم ، انظر الأعمال الكاملـــة للشـــيخ **محمد عبده** ٥ / ٢٧٣ – ٥٥٠ .

وقد وصف لنا الشيخ رشيد رضا طريقة الإمام في إلقاء دروسه ذاكراً أنـــه كان يتوسع " فيما أغفله أو قصّر فيه المفسرون ، ويختصر فيما برزوا فيه مـــن مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة وفى الروايات التي لا تدل عليهـــا ولا تتوقف على فهمها الآيات ، ويتوكأ فى ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذى هو أوجز التفاسير ، فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينتقد منها ما يراه ملتـــقداً ، ثـــم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة فى معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هدايـــة وعبرة " .(١)

والأجزاء التى فسرها **الإمام** من القرآن الكريم فى حقيقتها تفاسير تحليليـــة عقلية عنى فيها بربط الآيات القرآنية بقضايا المجتمع ، وحاول الإسهام في حل المشكلات المعاصرة بحلول قرآنية ، وهذا إن لم يكن تفسيرا موضوعيا بمعنـــاه الاصطلاحى يعد خطوه تقريبية للتفسير الموضوعى بالمعنى المتعارف عليه .

* * *

ويأتى من بعد **الإمام** تلميذه الشيخ **رشيد رضا** ، ليواصل التفسير من حيـــث توقف أستاذه ، وقد وصف لنا **الشيخ رشيد** طريقته في التفسير بقوله : " وإننـــى لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه – رحمه الله تعالى – بالتوسع فيمـــا يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها ، أو فى حكمهـــا ، وفـــى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفـــى

(١) تفسير المنار ١ / ١٤ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وقد اقتبس الشـــيخ رشـــيد رضا دروس الإمام من الأجزاء التى فسرها من القرآن الكريم وطبعها معزوة إليـــه فـــى تفسيره " المنار " .

الإكثار من شواهد الآيات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها ، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحل بعض المشكلات التى أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس " .(١)

والشيخ رشيد كان أقرب إلى التفسير الموضوعى من أستاذه ، حيث اهتم في أثناء تفسيره للآيات بإيراد ما يتعلق بهن من أحاديث صحيحة وآيات أخرى مبلورا تفسيرها بالاستطرادات التى تهم المسلمين حتى تحقق لهم الهداية ، ويستطيعوا حل بعض مشكلاتهم ، أو تقوى حجتهم على خصومهم .

وسار على نهج الإمام **محمد عبده** في التفسير مجموعة من تلاميذه سواء في إلقائهم دروسا فى التفسير في المساجد ، أم فى تفاسيرهم التى دونها ، ومن هؤلاء **الشيخ أحمد مصطفى المراغى** (٢) ، **والشيخ محمود شلتوت** .(٣)

(١) تفسير المنار ١ / ١٦ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، واستمر الشيخ رشيد فى التفسير إلى الآية الأولى بعد المائة من سورة (يوسف) ، ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القران الكريم فى جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، وقد طبع تفسيره مع تفسير أستاذه فى اثنى عشر جزءا ، وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير الشيخ رشيد لسورة (يوسف) ، وطبعها بتمامها فى كتاب مستقل يحمل اسم **الشيخ رشيد** رحمه الله .

(٢) وله تفسير كامل للقران الكريم ، ذكر فى مقدمته أنه : تلمس فيه التفسير بأسلوب عصرى موافقا لأمزجة أهله ، انظر تفسير المراغى ١ / ١٦ - ١٩ ، والحقيقة أن الشيخ المراغى استفاد من تفسير " المنار " ونقل عنه كثيرا لدرجة تشعرنا أنه اختصر تفسير المنار فى الأجزاء التى فسرها صاحباه .

(٣) وقد قام بتفسير عشرة الأجزاء الأولى من القران الكريم ولم يتمه ، وكان يهتم ببيان القضايا الاجتماعية التى تتناولها السورة ، ويربطها بقضايا المجتمع محاولا حلها بما فهمه من القران الكريم . وقد عاب على من يحاول إخضاع القران الكريم للنظريات العلمية أو الفلسفية أو السياسية ؛ لأن ذلك يعرض القران الكريم للدوران مع مسائل العلوم فى كل زمان ومكان ، وأن القران عندما أشار إلى أسرار الخلق وظواهر الكون كان ذلك بقصد الحض على التأمل ليزداد الناس إيمانا مع إيمانهم ؛ لأن القران كتاب هداية وإصلاح وتشريع ، راجع فى ذلك تفسير القران الكريم للشيخ شلتوت ١٣-١٤ .

وقد تبنى هذه الفكرة بعد الإمام وتلاميذه علماء كثيرون فى أثناء تفسيرهم لكتاب الله – تعالى – أو بعض سوره متوخين فى ذلك تعميق القول بالوحدة الموضوعية فى السورة القرآنية والتمثيل لها على تفاوت بينهم فى ذلك ، **ومن هؤلاء العلماء :**

[١] الشهيد سيد قطب (رحمه الله) :

عاش الشهيد سيد قطب فى ظلال القرآن ، ووقف أمامه وقفة فاحصة متأملا فيها ليتعرف على توجيهاته ، ويستخرج من آياته حلولا لعلاج المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية التى يعانى منها المجتمع المصرى والعالمى ، وقد عبر عما خالج نفسه من إحساس بجمال القرآن الفنى من تعبير وتصوير وتناسق ؛ لذا نجده لا يهتم بتقديم المعلومات اللحوية واللغوية والبلاغية والفقهية بقدر اهتمامه بفهم القرآن الكريم وإدراكه وتذوق معانيه .

أما عن طريقة **سيد قطب** فى تفسيره فكانت تقوم على عرض كل مجموعة من الآيات التى يربط بينها سبب خاص ويظللها ظل خاص في صورة درس قرآنى مسجلاً فيه ما يعن له من خواطر روحية أو اجتماعية أو إنسانية مهتما بإظهار الوحدة الموضوعية فى الآيات بل فى القرآن الكريم كله ، وربط النصوص الشريفة بالواقع المعاصر ، حتى جعل من كل درس قرآنى موضوع بحث متناسق يرتبط أوله بآخره .

كما كان يصدر كل سورة بمقدمة يعرض فيها أهداف السورة وأساسياتها ، ويبين شخصيتها المميزة ، والأساليب المتبعة في عـرض أفكارهـا ، وتحقيـق حقائقها قبل البدء فى تفسيرها .(١)

[٢] الشيخ سعيد حوى (رحمه الله) :

وللشيخ سعيد تفسير كامل للقرآن الكـريم ركز فيه على إظهـار الوحـدة الموضوعية فى السورة الواحدة ، والوحدة فى القرآن الكريم كلـه فـى ضـوء نظرية شاملة تعطى الجواب على كثير من الأمور التى لها صلة بوحدة السورة ، ووحدة المجموعة القرآنية ووحدة القسم القرآنى .

وذكر أنه توسع فى هذا الشأن بما لم يتوسع به أحد ؛ لأنه احتيـاج عصـر وضرورته .(٢)

والحق أن ما ذكره الشيخ سعيد في مقدمة تفسيره غير دقيـق ، حيـث إن القدماء استوعبوا فكرة الوحدة الموضوعية ، وبعضهم توسع فيها ، وإلى ذلك فإن كثيرا من العبارات التى ذكرها لها مثيل في تفسير البقاعى ، ولكن يمكن التماس العذر للشيخ سعيد بأنه كتب هذا التفسير في ظروف خاصة لم تمكنه من الاطلاع على تفسير البقاعى كما ذكر هو نفسه ذلك فى مقدمة تفسيره .(٣)

---

(١) انظر على سبيل المثال تفسيره لسورة ((ال عمران)) ، وقد تضمن تفسـيرها سـبعة مباحث صدرها بمقدمة عن السورة ، راجع فى ذلك الظلال : ٣ / ٣٤٨ ٤ / ٤٥٣ ، وتفسيره لسورة ((التوبة)) فى ثمانية مباحث غير المقدمـة ، انظـر الظـلال : ١٠ / ١٥٦٤ ١١ / ١٧٤٤ ، وتفسيره لسورة ((ص)) فى أربعة مباحث غير المقدمـة ، انظر الظلال : ٢٣ / ٣٠٠٤ ٣٠٢٩ .

(٢) انظر الأساس ١ / ٢١ ٢٣ .

(٣) انظر الأساس ١ / ٢٤ .

[٣] الشيخ محمد الطاهر بن عاشور :

وقد فسر **ابن عاشور** القرآن الكريم تفسيرا اهتم فيه ببيان وجوه الإعجـــاز والنكت البلاغية ، وإظهار التناسب بين الآيات والسور مبينا ما أحيط بكل سورة من أغراض ومظهراً روعة انسجامه ، ذاكراً أن هذا منزع جليل على به **الرازى والبقاعى** ، إلا أنهما لم يأتيا فى كثير من الأى بما فيه مقنع .(١)

وعلى الرغم من أن إظهار الوحدة الموضوعية والتناســب بــين الآيــات والسور لا ينفرد بهما التفسير الموضوعى وحده ، فإن اهتمام مفسرى العصـــر الحديث بذلك قربهم ممن تبنى هذه الفكرة وتطويرها مـــن اللـــاحيتين التطبيقيـــة والتقعيدية كما سنرى فى الصفحات التالية .

[٤] الشيخ الصابونى :

ألف **الصابونى** مؤلفا أسماه " **إيجاز البيان فى سور القرآن** " ، وأوضح أن هذه الدراسة لسور القرآن الكريم " تكشف الأضواء عن أهدافها ومقاصدها وتبين الغرض الأساسى من طريقة تناولها للمواضيع والأحداث ، سواء كان ذلك فـــى العبادات أو المعاملات أو التشريع أو الأخلاق أو في القصص والأخبار أو غير ذلك مما هو من الأهداف الأصيلة التى تتناولها السور الكريمة " .(٢)

(١) انظر التحرير والتنوير ١ / ٨ .

(٢) **إيجاز البيان فى سور القرآن** : ٣ ، **وللصابونى** تفسير كامل للقرآن الكريم جمـــع فيـــه صفوة ما حوته مجموعة من التفاسير المعتمدة إلى جانب إبرازه ما **فى القرآن الكريم** من روعة الإعجاز والبيان بما يتفق مع روح العصر الحديث ، ويلبـــى حاجـــات الشـــباب المثقف ، راجع صفوة التفاسير ١ / ٢٠ .

[٥] الشيخ محمد الغزالى (رحمه الله) :

وللشيخ الغزالى رحمه الله جهد مشكور في التفسير الموضـــوعى للقـــرآن الكريم نبه فى مقدمته على حاجة المسلمين إلى هذا اللون من التفسير ، وذكر أنه " عنى عناية شديدة بوحدة الموضوع فى السورة وإن كثرت قضاياها " ، متأسيا فى ذلك بالشيخ عبد الله دراز عندما تناول سورة (البقرة) بالدراسة .(١)

ومحاولة الشيخ الغزالى (رحمه الله) لا تخرج عن كونها تلخيصاً موجزاً لموضوعات السورة ، وليست تفسيراً موضوعياً لها فـــي أغلـــب الســـور (٢) ، ولكنها محاولة جادة ومشكورة على كل الأحوال .

ويبدو أن الشيخ الغزالى نفسه تنبه لهذا ، لذا ذكر في مقدمة تفسيره أنه لـــم يتعرض لتتبع " المعنى الواحد فى طول القرآن وعرضه ، وحشده فـــي ســـياق قريب ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس " .(٣)

---

(١) انظر : نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم : ٥ .

(٢) ولمزيد من التأكيد راجع على سبيل المثال تفسيره لســـورة ((مـــريم)) ٢٤١ - ٢٤٦ ، وسورة ((الفرقان)) ٢٧٩ - ٢٨٤ ، وســـورة ((الـــدخان)) ٣٨٤ - ٣٨٦ ، وســـورة ((المعارج)) ٤٧٨ - ٤٧٩ ، وسورة ((النصر)) ٥٤٦ .

(٣) نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم ٦ ، وللأستاذ عبد المتعال الصـــعيدى كتـــاب على هذا المنوال أسماه " النظم الفنى فى القرآن " تحدث فيه عن ترتيب الآيات والســـور فى مصاحف الصحابة ، وأتبع ذلك بذكر تاريخ نزول كل سورة من الســـور القرآنيـــة ، ووجه تسميتها والغرض المقصود منها ، ثم قسمها أقساما يدخل كل قسم منها تحت ذلـــك الغرض العام ، ولا يخرج عنه إلى أغراض أخرى لا تدخل فيه ، انظر : النظم الفنى فى القرآن ٤ .

[٦] الدكتور عبد الله شحاته (رحمه الله) :

قام **الدكتور عبد الله شحاته** بدراسة جيده تقع في أربعـــة أجـــزاء ، تبـــدأ بسورة ((البقرة)) وتنتهى بسورة ((الفاتحة)) ، وقد ذكر فى مقدمتها أن هـــذه الدراسة " تقدم كل سورة من سور القرآن فى صورتها العامة وأفكارها الرئيسة ، وتحاول أن تكشف الروح الذى يسرى بين أياتهـــا ، ويســـيطر علـــى مبادئهـــا وتوجيهاتها " .(١)

كما ذكر أن هذه الدراسة ليست تفسيرا حرفيا لأيات القرآن الكريم ولكنهـــا ضوء يلقى على أهداف السورة ومقاصدها ، ويوضح بعـــض الأحكـــام والأداب التى اشتملت عليها .(٢)

* * *

و هناك **دراسات أخرى قام بها علماء آخرون** لتفسير ســـورة واحـــدة مـــن القرآن الكريم أو أكثر ، **ومنهم على سبيل المثال :**

[١] الشيخ محمد المدنى :

وله دراسة رائعة لسورة " **النساء** " توصل فيها إلى أن الســـورة تضـــمنت أمورا كثيرة تتعلق بتنظيم المجتمع الإسلامى ، ووضع أسس الحكم في الدولـــة ، ووجوب الحذر من الذين يريدون أن يزلزلوا على المسلمين دولتهم إما بالتشكيك فى الدين ، أو بإثارة الحروب والفتن ، **ثم قسم السورة قسمين :**

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها فى القران الكريم ١ / ٨ .

(٢) انظرْ أهداف كل سورة ومقاصدها فى القران الكريم ١ / ٩ .

الأول : يتضمن المبادئ والتوجيهات التى أقامت عليها السورة نظام المجتمع .
والآخر : يتضمن الأحكام التى شرعتها السورة لهذا المجتمع ؛ لذا كان موضوع السورة " تنظيم المجتمع الإسلامى " .(١)

[٢] الدكتور محمد عبد الله دراز :

وقام بدراسة قيمة لسورة " **البقرة** " تحت عنوان " **نظام عقد المعـانى فـى سورة البقرة** " ذكر فيها أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من **مقدمة** ، **وأربعة مقاصد هى : دعوة** الناس إلى اعتناق الإسلام ، **ودعوة** أهل الكتاب إلى ترك الباطل والدخول فى الإسلام ، **وعرض** تفصيلى لشرائع الدين الإسـلامى ، **وذكر** الوازع الدينى الذى يبعث على ملازمة تلك الشرائع ، **وخاتمة** .

وقد بين **الدكتور دراز** من خلال دراسته للسورة الكريمة كيفية تعانق المقدمة بالخاتمة **وتلاحمهما** بسور محكم يحيط بالسورة كلها لتصبح ملتحمة البناء مـن غير ملاط يمسكها .(٢)

وقد ذكر **الدكتور دراز** أنه قام بتفسير **سورتين** أخريين مكيتين فـى أثنـاء تدريسه في جامعة الأزهر وهما سورة " **يونس** " ، وسورة " **هود** " وأنه وجـد بعد دراسة هذه السور أكثر مما كان يطلب من بحثه حيث قال : " كنا نبحث عما إذا كان هناك نوع من الترابط فى الأفكار التى تتناولها السورة الواحدة ، ولقـد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا محددا يتكـون مـن

---

(١) انظر المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء ١٥ ٢٤ .
(٢) انظر النبأ العظيم ١٦٣ – ٢١١ .

ديباجة وموضوع وخاتمة ، فتوضح الآيات الافتتاحيـــة الأولـــى مـــن الســـورة الموضوع الذى ستعالجه في خطوطه الرئيسة ، ثم يتبع ذلك التدرج فى عـــرض الموضوع بنظام لا يتدخل فيه جزء مع جزء أخر ، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له فى جملة السورة ، وأخيرا تأتى **الخاتمة** التى تقابل الديباجة " .(١)

[٣] الدكتور شوقى ضيف :

وقد قام بدراسة سورة " **الرحمن** " وأتبعها بدراسة بعض قصار السور وهى (**الفاتحة والإخلاص والعصر**) ، وكان يتخذ من كل آيـــة لـــورا يهديـــه إلـــى مضمونها العام خلال القرآن الكريم كله .(٢)

وهناك الكثير والكثير من الدراسات التى تناولت بعض سور القرآن الكريم من الناحية الموضوعية ولكنى اكتفيت بأشهرها خشية الإطالة .(٣)

ومن العرض السابق يتبين لنا أن **التفسير الموضوعى** بـــدأ فـــى العصـــر الحديث بتفسير القرآن الكريم ، أو بعض سوره تفسيرا موضوعيا يظهر الوحـــدة الموضوعية فى القرآن الكريم ، فهو كل واحد يتصل أوله بآخره ، وكل ســـورة تمثل لبنة من لبناته ، هذا بالإضافة إلى **الوحدة الموضوعية** الموجودة داخل كل سورة من سوره ، فكل سورة وحدة متكاملة يفسر أولها آخرها ، وتوضح آياتها الغرض الذى نزلت من أجله السورة الكريمة .

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ١١٩ .

(٢) انظر سورة الرحمن وقصار السور : ١١ .

(٣) ومن هذه الدراسات دراسة الدكتور **حسين محمد باجودة** لبعض السور ، مثل ((الفرقان ويوسف والإسراء ويس)) ، ودراسة الدكتور **محمد رأفت سعيد** لســـورة ((لقمـــان)) ، وغير ذلك كثير .

وإلى جانب تفسير القرآن الكريم ، أو بعض سـوره تفسـيرا موضـوعيا نشطت الدراسات الموضوعية لموضوعات القرآن الكريم ، فقد اكـب عليهـا الباحثون المعاصرون ، وألفوا عددا من المؤلفات الموضوعية التى تتزايد بمرور الأيام ، ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا ، ويتوقع لها المزيد والمزيد حتى توفى كل موضوعات القرآن الكريم وتربطها بواقع المجتمـع ، ومـن أشـهر هـذه الدراسات :

الدراستان اللتان قام بهما الشهيد سيد قطب .

* وقد تحدثت الأولـى : عن " التصوير الفنى فى القرآن " ؛ حيث جمع فيهـا الصور الفنية في القرآن ، واستعرض طريقة القرآن الكريم فـى تصـويرها ، وتناسقه الفنى فى إخراجها ، وكان مرجعه الأول فيها هو المصحف الشـريف ، وقد توصل الشيخ سيد إلى حقيقة جعلها قاعدة أقام عليها بحثه وهى أن " الصور فى القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره . إن التصوير هو قاعدة التعبيـر فى هذا الكتاب الجميل ، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض – فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال – فليس البحث إذن عن صور تُجمـع وتُرتـب . ولكن عن قاعدة تُكشف وتبرز " .(١)

* وكانت الدراسة الثانية : عن " مشاهد القيامة في القرآن " ، جمـع فيهـا الآيات التى تتحدث عن مشهد ، أو أكثر من مشاهد يوم القيامـة مـن مختلـف السور ، وقد استعرض في هذه الدراسة خمسين ومائة مشهد ، موجود فى ثمانين سورة ، معظمها من السور المكية ، وتوصل الباحث إلى أن هذه المشاهد – على

(١) التصوير الفنى فى القرآن ٩ – ١٠ .

كثرتها – لم ينشأ بينها نوع من التكرار ، وذلك لون من الإعجاز شبيه بالإعجاز فى خلق الملايين من الناس .[١]

- **دراسة الدكتور محمد عبد الله دراز** : للأخلاق فى القرآن الكـريم ، وهـى رسالة دكتوراه وضعها صاحبها باللغة الفرنسية ، وترجمها الـدكتور عبـد الصبور شاهين . وقد حاول فيها الباحث إبراز **طابع الأخلاق العام المسـتمد من القرآن الكريم** من الناحيتين النظرية والعملية ، وتوصل الباحث إلى أنـه لا مكان للأخلاق بدونعقيدة ، وقسم الدكتور دراز **الأخلاق خمسـة أقسـام** : فردية ، وعائلية ، واجتماعية، وسياسية ، ودينية .[٢]

- **الدراسة التى قام بها محمد عزة دروزة** ، وكانت بعنوان " **القرآن والضمان الاجتماعى** " ، وهى عبارة عن شرح وجيز للأسس التى شرعها الله تعـالى لضمان الطبقات العاجزة والمعوزة من قبل الدولة .[٣]

كما قام **محمد عزة دروزه** بدراسات أخرى ، منها " **سيرة الرسـول صـور مقتبسة من القرآن الكريم** " عرض فيها السـيرة النبويـة عرضـا كـاملا مستشهدا بالقرآن الكريم ، ومدعما بنظر ثاقب ، وفكر نير ، وجاء الكتاب فى جزأين ، تحدث الجزء **الأول** : عن **شخصية** الرسول ﷺ فى العهد المكـى ، وتحدث **الآخر** : عن عهد **النبوة المدنى** ، ومن خلالهما يطلعنا على الأدوار

(١) انظر مشاهد القيامة فى القرآن ٨ ٩ .
(٢) انظر دستور الأخلاق فى القرآن ، مقدمة د. السيد محمد بدوى ، ص ى وما بعدها .
(٣) انظر القرآن الكريم والضمان الاجتماعى : ٣ .

التى تقلبت فيها الدعوة حتى انتهت إلى ذلك النصر العزيز والفتح المبين حتى صارت كلمة الله هى العليا .[١]

- **الدراستان اللتان قام بهما الدكتور يوسف القرضاوى** ، حيث تحدثت **الأولى** : عن" **الصبر فى القرآن الكريم** " ، وقد أشاد المؤلف فى مقدمتها بهذا اللون من التفسير بعد أن عرّفه ، وذكر بعض الكتب التى ألفت فيه قديما وحديثاً [٢] ، ثم أتبع **المقدمة** بخمسة فصول تحدثت عن حقيقة الصبر ومجالاته ، ومنزلة الصابرين ، والشخصيات الصابرة التى ذكرت فى القرآن ، وختم دراسته بذكر **الأمور** التى تعين **الإنسان على الصبر** ، والتى أشار إليها القرآن الكريم .

وكانت الدراسة **الثانية** عن " **العقل والعلم فى القرآن الكريم** " ، وبين فيها المؤلف **مبلغ العقلانية** ، **ومدى العلمية فى القرآن** ، وكيفية غرس هذين المعنيين فى عقول الأمة وقلوبها حتى تربى فى ضوئهما .[٣]

وجاء **الكتاب فى مقدمة وستة فصول** تحدثت عن مكانة **العقل والعلم** ، وفضل العلم ، ومنزلة العلماء فى القرآن ، وحثه – تعالى – على التعلم والتعليم ، وكيفية تكوين العقلية العلمية ، ثم ختم فصوله بفصل عن الإعجاز العلمى فى القرآن .

(١) انظر مقدمة عبد الله بن إبراهيم الأنصارى للكتاب : ٥ ٦ .
(٢) انظر الصبر فى القران الكريم ٦ – ٨ .
(٣) انظر العقل والعلم فى القران الكريم ٩ .

- **دراسة الدكتور على أحمد فراج** ، وكانت بعنوان : " **التفسير الموضـــوعى لآيات الحرب والسلم فى القرآن الكريم** " ، وقد تناول هذه الآيات في أربعـــة مباحث تحدث فيها عن الإسلام كـــدين أمـــن وســـلام، وأن هـــذا لا يعنـــى الاستسلام ؛ لذا أباح الله تعالى القتال ، وختم مباحثه ببيـــان ســـماحة الـــدين الإسلامى .

وتوصل الباحث إلى حرص **الإسلام** على السلام والتسامح ، وعدم لجوئـــه إلى الحرب إلا دفاعا ، أو شجبا لعدوان متوقع .(٣)

* وهناك **الكثير والكثير** من الدراسات الموضوعية وهى في تزايد مستمر ، ولكنى اكتفيت بالنماذج السالفة الذكر ، فليس الهدف من هذا البحث حصر هـــذه **الدراسات** ، وقد ذكرت بعضا منها على سبيل **الاستشهاد والاستئناس** .

* * *

وهكذا نجد أن **الدراسات الموضوعية** نشطت نشاطا حافلا فـــى الســـنوات الأخيرة ، وكلها دراسات جادة ونافعة – بإذن الله – وإن كان بعضها لا يســـير على الخطة النموذجية للتفسير الموضوعى ولكنها على كـــل الأحـــوال جهـــود مخلصة ومضيئة جددت تفسير القرآن الكريم ، **ولفتت الأنظار إلى أهمية التفسير الموضوعى** ، وغيرت اتجاهات المفسرين التى كان أكثرها منصبا على الاهتمام بالتفسير التحليلى ، وهو الاتجاه الذى اهتم به جل المفسرين منذ عصر التـــدوين حتى العصر الحديث **على الرغم من وجود الاتجاه الموضوعى على مر العصور كما سبق أن أوضحت** .

---

(٣) انظر التفسير الموضوعى لآيات **الحرب والسلم فى القران** ٢٦٧ ٢٦٨ .

* ولكن السؤال الذى يطـــرح نفســـه الآن ، **لمـــاذا لـــم تتعمـــق الدراســـات الموضوعية عند القدماء ، كما تعمقت الدراسات التحليلية** لدرجة أشعرتنا أن المفسرين التحليليين لم يتركوا شيئا إلا وتحدثوا عنه ؟

وقد أجاب بعض العلماء قديما عن هذا السؤال فنجد أن القاضى **أبا بكر ابن العربى** يقول فى (سراج المريدين) : إن " ارتباط أى القرآن بعضـــها بـــبعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة " **البقرة** " ، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، فلمـــا لم نجد له حملة ، ورأينا الخلـــق بأوصاف البطلة ختمنـــا عليه ، وجعلناه بيننـــا وبين الله ، ورددناه إليه " .(١)

كما ذكر **الرازى** عند تفسيره للآية الخامسة والثمانين ومائتين مـــن ســـورة "**البقرة**" أن **القرآن الكريم** " كما أنه معجز بحسب فصـــاحة ألفاظـــه ، وشـــرف معانيه ، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ، ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا : إنـــه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه الطائف غير منتبهين لهذه الأمور " .(٢)

وعندما تحدث **السيوطى** عن مؤلفه فى هذا العلم ذكر أن : " **علم المناســـبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته** " .(٣)

(١) الإتقان ٢ / ١٠٨ .

(٢) التفسير الكبير ٧ / ١٣٩ .

(٣) الإتقان ٢ / ١٠٨ .

ومن النصوص السابقة يتضح لنا أن السـابقين **لـم يهتمـوا بالدراسـات الموضوعية للقرآن الكريم** ، ولم يعمقوا مجالات البحث فيها؛ لأنها لم تلق قبولا ورواجا بين جمهور العلماء والمفسرين ، فربما يرجع ذلك لدقة هذا العلم – كما ذكر السيوطى وربما يرجع لأسباب أخرى ، ولكن مما ينبغى تأكيـده أن **عـدم توجه كثير من المفسرين القدامى إلى الكتابة في التفسير الموضوعى كما كتب عنه المحدثون وألفوا فيه لا يعيبهم ، ولا ينقص من قدرهم ، وذلـك لأسـباب عديدة ، منها :**

- **أنهم لم يكونوا بحاجة ماسة لدراسة موضوعات** القرآن الكريم على غرار **الدراسات الموضوعية الحديثة** ؛ لأن ذلك لـم يكـن ضـمن متطلبـات عصرهم ، فالقدامى حققوا حاجات مسلمى عصرهم ، ولا نطلب منهم أن يحققوا حاجات مسلمى عصرنا الراهن .
- إن التفسير الموضوعى يعد اتجاها متخصصا في التفسير ، والقدامى لـم يتجهوا إلى مبدأ التخصص لا في تعلمهم ، ولا في مؤلفاتهم ، **فقـد كـان العالم يتعلم كل ما تتوق له نفسه** ، ويكتب في كل العلـوم علـى قـدر طاقته ، وخير دليل على ذلك ما فعله **الرازى** فى تفسيره .

ومبدأ **التخصص من نتاج عصر النهضة الحديثة** ، حيث شهدت النهضـة العلمية الحديثة تخصصا دقيقا ، وتعمقا منهجيا علميا في شتى فروع المعرفـة ، وبالطبع لا يمكن أن نعمم هذا المبدأ على العصور السابقة .[١]

(١) وقد ذهب إلى قريب من هذا الرأى د. **عبد الحى الفرماوى** ، انظر البداية فى التفسير الموضوعى ٥٧ .

وقد اتهم **الشيخ رشيد رضا** المتقدمين ، وكثيرا من المفسـرين المتـأخرين **بالتقصير** لعدم تناولهم آيات القرآن الكريم **بالدراسة الموضوعية** حيث ذكر أنهم لم يقصروا فى شيء من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليـه القرآن والحديث من سنن الله تعالى في الأمم ، والجمع بين النصوص في ذلك ، والحث على الاعتبار بها ، وأنهم لو عنوا بذلك مثلما عنوا بفـروع الأحكـام ، وقواعد الكلام لأفادوا الأمة بما يحفظ بها دينها ودنياها " .(١)

والإمام **رشيد** – رحمه الله – يبدو متعصبا فى اتهامه هـذا ؛ لأن بعـض المتقدمين اهتموا بدراسة بعض **الموضوعات** والسور دراسة موضوعية ، كمـا بينت الدراسة ، ومع ذلك فهذا لا يعيبهم ولا ينقص من قدرهم ؛ لأن البحث فـي التفسير الموضوعى يعد مطلبا من مطالب عصرنا الحديث ، ونحن لا نستطيع أن نطالبهم أن يلبوا حاجات عصرنا المتجددة .

وقد أنصف الشيخ **أحمد المراغى** عندما رأى أن التفاسير القديمـة كانـت تناسب أهل عصورها ، ويسهل عليهم فهمها ، وهذا يعد مفخرة لهم " **ولما كـان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره فى آداب أهله وأخلاقهم وعاداتهم ، وطرائق تفكيرهم ، وجب على الباحثين فى هذا العصر مجاراة أهله فى كل مـا تقدم فكان لزاما علينا أن نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب عصـرنا موافقا لأمزجة أهله ، فأساس التخاطب أن لكـل مقـام مقـالا ، وأن النـاس يخاطبون على قدر عقولهم ، وقد رأينا أن نشيد فيه بجهود السابقين معتـرفين بفضلهم** " .(٢)

---

(١) انظر تفسير المنار ٧ / ٤٩٩ – ٥٠٠ ، طبعة دار الفكر .
(٢) تفسير المراغى ١ / ١٧ .

المبحث الثالث

أهمية التفسير الموضوعى

إن علم **التفسير من أجل العلوم وأشرفها** ؛ لـــذا تواكـــب عليـــه العلمـــاء والمفسرون بالدراسة والتحليل والتدبر ، وما زالت العلوم القرآنية مجـــالا بكـــرا للبحث مع خصوبة الدراسات فيها .

وعلى الرغم من **كثرة التفاسير التحليلية ، وتنوعها فإنها لـــم تســـتوعب جميع معانى القرآن الكريم** ؛ لذا فنحن بحاجة ماسة إلى أن نفسر القرآن الكـــريم تفسيرا موضوعيا ، وخصوصا فى عصرنا الراهن الذى امتـــاز بتقـــدم العلـــوم والمعارف ، وتغير ظروف الحياة ، وعاداتها وتقاليدها ، فكان لزامـــا علينـــا أن نهرع إلى كتاب الله تعالى لنسترشد به **فى جميع شئوننا نظرا لما يحتويـــه مـــن مباحث** ، وموضوعات تخدم الفرد والمجتمع ، فهو العلاج **الناجع** لكل مشـــاكلنا الاجتماعية ، والسياسية ، الاقتصادية ، والنفسية ... إلخ .

ونحن اليوم فى حاجة إلى هذا اللون من التفسير أكثر من أى وقت مضى ، فلابد من التدقيق **فى القرآن الكريم** وإحاطة الآيات بنظرة شاملة متأمـــل فيهـــا ، **وربط هذا التفسير بقضايا الواقع الذى نعيش فيه** ، **وفي هـــذا صـــلاح** للأمـــة الإسلامية ، وباعث على نهضتها ؛ إذ " إن ما عرضه القرآن من موضـــوعات يعتبر بحق عمدا قوية في بناء الأمة ونهضتها ، وبهذا يطمئن النـــاس إلـــى أن القرآن ليس بعيدا عن حياتهم ، ولا عن نواحى تفكيرهم ، ولا عن مشكلاتهم التى

تعرض لهم فى كل حين ، يطمئنون إلى أن القرآن ليس كتابا روحيا فقط مهمته أن يشرح طرق القربى إلى الله من غير أن يعنى بشىء من وسائل الحياة " .(١)

* وقد نادى الشيخ **أمين الخولى** منذ سنوات بضرورة تفسير **القرآن الكريم** موضوعا موضوعا ؛ لأن ذلك التفسير أهدى إلى فهم معانى القـــرآن الكـــريم ، وأوثق فى تحديد أغراضه ، حيث ذكر أن تفسير **القرآن** سورة سورة ليس " إلا تعرضا مفرقا لموضوعات مختلفة تنظمها السورة الواحدة ، ثم يعود المفسر بعد ذلك فى السورة الأخرى إلى مثل **هذه الموضوعات أنفسها** ، فإن عجل النظـــرة الجامعة إلى هذه الموضوعات فى القرآن كله حيثما عرضت له في أول ســـورة فقد آل به الأمر إلى تفسير الموضوعات ، وكانت وقفاته الطوال المتباعدة عنـــد كل موضوع تركا لتفسير السورة ، وإخلالا به ، وإن تعرض للموضوع الواحـــد مراراً كلما عرض فى السور المختلفة فقد أخل بوحدة الموضوع ، حـــين تـــرك الإلمام الجامع به في مقام متصل " .(٢)

فالشيخ **أمين الخولى** يرى أن الصورة المثلـــى فـــي التفســـير أن تفســـير موضوعات القرآن الكريم فى كل سورة ، ولكن ليس معنى هذا أن نغفـــل عـــن تفسير **القرآن الكريم** سورة سورة ، **وإبراز الوحدة الموضوعية لكـــل ســـورة** ، وربط جميع آياتها بمحور أو موضوع السورة الأساسى ، وأن نهتم فقط بجمـــع آيات الموضوعات القرآنية ، واستنباط ما تهدف إليه لأن من " يغرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تماما عن غيرها ، ولم ينظر نظرة إجمالية عامة فـــى

(١) قصة التفسير للدكتور : أحمد الشرباصى ١١٣ .
(٢) الأعمال الكاملة لأمين الخولى ، مناهج تجديد : ٢٣٣ .

السورة ، وفى هدفها العام لم يحصل له إلا فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضـــع اللغوى فقط ، لا بحسب المقصود الأعلى للمتكلم " [١] ، ومع ذلك لم يقصد الشيخ **أمين الخولى** من كلامه السابق أن نغفل عن تفسير القرآن الكريم سورة سورة ، ولكنه قصد أن نهتم بتفسير موضوعات السورة التى نفسرها فى أثناء تفســيرنا للسورة القرآنية ، **حيث ذكر أنه : إذا كان للمفسر نظــرة فــي الســورة التــى يفسرها ، أو تناسب آياتها ، واطراد سياقها ، فإنه يستطيع أن يتحدث** عنها بعد أن يستوفى تفسير الموضوعات المختلفة التى وردت فى السورة الكريمة .[٢]

وبالإضافة إلى ما سبق فإن التفسير الموضوعى يعد من أمثل الطرق فــى التفسير ؛ لأنه يتضمن معرفتين : **أولهما** : تفهيم الناس ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية . **والأخرى** : إبراز أن موضــوعات القــرآن الكــريم ليســت موضوعات نظرية بحتة يسير الناس على نهجها دون أن يكون لها مثل واقعيــة تتصل بالأفراد والجماعات .

وإذا **وصل الإنسان إلى هاتين المعرفتين** ، وقدرهما حق قدرهما ، علم مدى ضعفه أمام خالقه تعالى ، وبذلك يتجه بسلوكه نحو خالقه تعالى محاولاً إرضائه ، وذلك بتمسكه بشريعته ، وتحليه بكريم الخلال ، وجميل الأفعال ، وبذلك تقــوى صلته بخالقه .[٣]

---

(١) الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : ٤٨ .

(٢) انظر الأعمال الكاملة لأمين الخولى ، مناهج تجديد ٢٣٣ .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع : دراسات فى التفســير الموضــوعى للقصــص القرآنــى ٦٩ - ٧٠ .

وقد أكد الشيخ **محمد المدنى** ضـــرورة دراســـة القـــرآن الكـــريم دراســـة موضوعية **فنجده يقول** : إن " **القرآن الكريم** يجب أن يدرس من كـــل ناحيـــة ، وهو قد درس فعلا من **عشرات** النواحى المختلفة ، ولكنه – كتـــاب هدايـــة ذات طابع خاص له هيمنته على القلوب وتأثيره في الأرواح – لا يمكن أن تجتلى هذه الناحية فيه بتطبيق كلماته وألفاظه على قواعد النحـــو حينـــا ، وعلـــى مـــروى القراءات حينا ، وعلى تفاصيل التقديم والتأخير ، والحذف ، والذكر ، والوصـــل والفصل ... إن هذا أشبه بخدمة غرض النحويين والبلاغيين وأهل القراءات منه بخدمة غرض القرآن نفسه ، والغاية المقصودة منه ككتاب هداية للتى هى أقوم ، فهذه الطريقة تجعل من آياته موضوعات لتمرينات مختلفة ، وتطبيقات متنوعة ، وإن تخللها فى كثير من الأحيان بيان للأحكام، أو توجيه إلى الجمال الفنـــى ، أو إظهار لأسلوب الهداية والإرشاد ، أو تعريف بما تتضمنه الآيات من إيحـــاء أو إشارة أو تنبيه إلى غير ذلك مما لا يخلو منه تفسير فى العادة " .[1]

ويضيف الدكتور **يوسف القرضاوى** فوائد أخرى للتفســـير الموضـــوعى **منها** :

- أن **التفسير الموضوعى** يفسح المجال للدارسين في شتى التخصصات ليتناول كل منهم من القرآن الكريم ما يتعلق باختصاصه وميوله ، وبالتالى سيدرســـه بصورة أعمق مما لو تناوله غيره ، **فمثلا** : رجل الفقه يعنى بآيات الأحكام ، ورجل الاقتصاد يعنى بآيات المال ، ورجل الفلك يهـــتم بالآيـــات الكونيـــة ، ورجل التربية يعنى بآيات التوجيه والإرشاد والقصص ... وهكذا .

(١) المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء ٦ .

- أن **التفسير الموضوعى** خليق أن يبين للناس مدى حضرية القرآن الكـــريم ، وسعة موضوعاته التى تعد **بـــالآلاف** ، مع أنه كتاب محدود الصفحات أتى به رجل أمى فى أمة أمية .(١)

* وإلى جانب ما **سبق كله فهناك فوائد كثيرة** تعود علينا من تأمل القـــرآن الكريم وتفسيره تفسيرا موضوعيا **منها** : (٢)

١ - أنه يكشف لنا عن جوانب جديدة من وجوه **إعجاز القرآن الكـــريم** وذلـــك بعرض موضوعاته بطريقة علميـــة واقعيـــة تلـــاقش قضـــايا المســـلمين ومشكلاتهم المعاصرة ، وتسعى إلى تقديم الحلول لهم وهذا هو البعـــد الحى للقرآن الكريم .

٢ - تنفيذ أمر الله تعالى بتدبير القرآن الكريم وإمعان النظر فيه ، وبذلك يرتفع مستوى تفكيرنا إلى مستوى المفكرين القرآنيين .

٣ - تفنيد أفكار المغرضين من الإسلام ، وذلك بتقديم دراســـات دينيـــة وفـــق معايير قرآنية جامعة .

٤ - توسيع دلالات ومضامين الآيات الكريمة بإضافة لطـــائف ومعـــان غيـــر موجودة فى التفاسير التحليلية استشفها المعاصـــرون مـــن روح الآيـــات الكريمة .

(١) انظر الصبر فى القرآن الكريم ٧ - ٨ .

(٢) لمعرفة المزيد من التفاصيل والفوائد راجع : المدخل إلى التفسير الموضوعى ٤٠ - ٥٥ ومباحث فى التفسير الموضوعى ٣٠ - ٣٣ ، والتفســـير الموضـــوعى بـــين النظريـــة والتطبيق ٤٩ - ٥١ .

٥ - دراسة علوم جديدة في ضوء القرآن الكريم مثل الإعجاز العلمى للقـــرآن الكريم ، وعلم أصول التربية القرآنيـــة ، وعلم أصول الاقتصاد الإسلامى والإعلام الإسلامى ، والحكمة القرآنية والإعجاز التشريعى وهكذا ، فهذه العلوم نستطيع أن نستشفها من روح الآيات الكريمة والسنة الصـــحيحة ، وهذا لا يتم إلا من خلال التفسير الموضوعى .

٦ - أن التفسير الموضوعى يتيح الفرصة للمفسر أن يفسر أى موضوع تتوق نفسه إلى تفســيره وكشف النقاب عن أسراره في فترة زمنية محـــدودة ، وبعدها ينتقل إلى موضوع آخر ، وهذا لا يتحقق مع تفسير القرآن الكريم تفسيرا تحليليا ، لأن ذلك يستغرق جهدا ووقتا كبيـــرين ، وربمـــا تـــوافى المفسر المنية قبل أن يتم تفسيره .

* * *

ومما سبق تتجلى لنا مدى أهمية التفسير الموضوعى ، ولاسيما فى عصرنا الحديث ، فهو يقدم الحقائق القرآنية للمسلمين بجلاء ووضوح ، وبخاصة التـــى غابت عن أذهانهم فى كل ميدان ، وبذلك تتهيأ عقول المسلمين وقلوبهم لإقامـــة حضارة راقية تضاهى حضارتهم في القرون الهجرية الأولى ، ولن يكون ذلـــك إلا بالرجوع إلى مصدر التشريع الأول ، وإثبات مرونتـــه وتطـــوره لمســـايرة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياســـية والعلميـــة فـــي كـــل مجتمعاتنـــا المعاصرة ، حتى يتيقن الجميع إيجابية الحلول القرآنية ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، فهى المعين الصافى والدواء الشافى لكل ما يستجد فى حياة البشر إلـــى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

ولله در **مالك بن نبى** حينما قال : " إننا بحاجة إلى إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية وتوجيهها ، **وأول** : ما يصادفنا في هذا السبيل هو أنه يجب تنظيم تعليم **القرآن** تنظيما يوحى معه من جديد إلى الضمير المسلم الحقيقة القرآنية ، كما لو كانت جديدة نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير ، **وثانى** : ما يصادفنا هو أنه يجب تحديد رسالة المسلم الجديدة في العالم . فبهذا يستطيع المسلم منـذ البداية أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقى ، حتى ولو عاش فى مجتمع لا يتفق مع مثله الأعلى ومبادئه ، كما أنه يستطيع أن يواجه – على الرغم من فقره أو ثرائـه – مسئولياته مهما يكن قدر الظروف الخارجية الأخلاقية أو المادية " .(١)

ومالك بن نبى محق فيما قال ، فلا يمكن أن ينهض المسلمون من غفلتهم ، ويعيدوا حضارة آبائهم وأجدادهم – رضوان الله عليهم – إلا إذا تفتحت نفوسهم ، ويقظت ضمائرهم ، وتعلموا كتابهم ، واستوعبوا تعاليمه ، ثم يقوم كـل منهم برسالته نحو ربه ، ونحو مجتمعه متحليا بأخلاقيات الإسلام السامية .

ومن هنا فمن واجبنا أن نثرى التفسير الموضوعى ، ونعمـق مجـالات البحث فيه ، ولكن كيف نثرى التفسير الموضوعى ؟

يرى **محمد باقر الصدر** أن : التفسير الموضوعى قادر علـى أن يطـور نفسه ؛ لأن التجربة البشرية تثريه ؛ وذلك بالدرس القرآنى والتأمل فيه ، وبهـذا الثراء نقيم فهم إسلامى قرآنى جديد .(٢)

(١) انظر ميلاد مجتمع ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين : ١١٤ .
(٢) انظر المدرسة القرآنية : ٢٣ - ٢٤ .

وأنا أتفق مع الباحث الفاضل فى أن التجربـــة البشـــرية تثـــرى التفســـير الموضوعى ؛ **ولكن التجربة البشرية لا تكون مجدية فى الكشف عـــن أســـرار القرآن الكريم ومكنوناته إن لم ترتبط بالواقع الحيوى ومشكلاته اللذين يحياهما المجتمع الإنسانى ، فلا بد من الربط الدائم بين القرآن والواقـــع** ، حتى نستطيع أن نسرى التفسير الموضوعى ، ونحقق الفائدة المرجوة منه .

* * *

* وإيمانا من علماء الدين والمفسرين بأهمية **التفسير الموضـــوعى** ، فقـــد قررت أقسام التفسير فى كثير مـــن الجامعـــات الإســـلامية مـــادة " **التفســـير الموضوعى** " ضمن مواد المرحلة الجامعية الأولى ، كما وجه كثير من الأساتذة المشرفين طلابهم إلى الكتابة فى " **التفسير الموضوعى** " ، والبحث عن الوحـــدة الموضوعية فى بعض السور القرآنية ، أو البحث فـــى إحـــدى الموضـــوعات القرآنية .

* وقد صدرت عن كثير من الباحثين دراسات ورسائل علمية متنوعـــة [١] تتفاوت فى قيمتها العلمية ، ولكنها على كل حال تعد بوادر جيدة ومشجعة فـــى الوقت نفسه ، ومع ذلك فمازال المجال **بكرا** ، ومـــازال التفســـير الموضـــوعى بحاجة إلى ضبط وتأصيل ودراسات واعية سواء فى الجانب النظرى التقعيدى ، أم فى الجانب العملى التطبيقى ، حتى نستطيع تحقيق أهـــداف القـــرآن الكـــريم الجزئية والكلية .

---

(١) ولى دراسة فى ذلك بعنوان " **المرأة فى القرآن الكريم دراسة فى التفسير الموضوعى**"، وقد حصلت بها على درجة الدكتوراه من كلية التربية جامعـــة عـــين شـــمس ، مـــع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتداولها بين الجامعات المناظرة .

وفى النهاية أشير إلى أنه ليس معنى أن : التفسير الموضوعى ملب لحاجات العصر الراهن أن نترك التفسير التحليلى ، ولا نهتم به أو نقرأ فيه بوصفه كان مناسبا للسابقين ، ولا يناسبنا نحن ، **فالتفسير التحليلى** لا يستغنى عنه الباحث في أى نوع من أنواع التفسير (**إجمالى أو مقارن أو موضوعى**) ، فالباحث فى التفسير الموضوعى لابد أن يكون على علم تام بالتفسير التحليلى للآيات التى يدرسها ، وأن يطلع على تفسيرها فى أمهات كتب التفسير التحليلى ، على اختلاف تياراتها ومدارسها ، وإلا سيقع فى أخطاء جسيمة ، وسيحرف المعانى والموضوعات القرآنية عن مواضعها ، حيث إن **التفسير الموضوعى** : مرحلة مكملة **للتفسير التحليلى** ، أو مرحلة متخصصة متأخرة عنه ، لا يمكن أن نصل إليها دون تحصيل المرحلة الأولى .

وبذلك **يكتمل صرح البناء التفسيرى الشامخ الذى يضئ شتى جوانب النص القرآنى الكريم .**

الخاتمـة :

وبعد هذه الجولة المختصرة فى التفسير الموضوعى ومراحـــل تطـــوره ، أجمل أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج وتوصيات فى النقاط التالية :

أولاً : التفسير الموضوعى له جذور عميقة ؛ لكنه لم يظهر كمصطلح إلا فـــى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى .

ثانياً : أنواع التفسير الموضوعي ثلاثة ، أشهرهاالتفسير الموضوعى للموضوع القرآنى ، وهو المتبادر إلى الذهن حيثمـــا يـــذكر مصـــطلح " التفســـير الموضوعى " .

ثالثاً : الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو أول من وجه الأنظار إلى أهميـــة تفسير القرآن بالقرآن ، وهذه أولى لبنات التفسير الموضوعى ، وقد تابعه بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) على ذلك .

رابعاً : الجاحظ هو أول من أدرك فكرة التفسير الموضوعى للموضوع القرآنى ، وهى أن يكون الموضع القرآنى محوراً للتفسير ، وقد طبق هذه الفكـــرة بمفهوم قريب من المعنى المتعارف عليه اليوم .

خامساً : أول من حسّ بالوحدة الفنية فى السورة القرآنية ، وفى كل سور القرآن على ترتيبه الذى هو عليه المصحف هو الإمام الباقلانى ، وبهـــذا لفـــت أنظار العلماء بعده إلى أهمية النظر إلى الوحـــدة الموضـــوعية للســـورة القرآنية على نحو ما نجده عند الزمخشرى ، والرازى ، وابـــن تيميـــة ، وابن القيم والشاطبى ، وغيرهم .

سادساً : تفسير القاعى هو أول تفسير يصلنا كاملاً فى ضوء فكرة ربط آيـــات القرآن الكريم وسوره بعضها ببعض ، مما جعل له مكانة مميزة عند من يبحث فى مجال التفسير الموضوعى .

سابعاً : لأصحاب المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير وفى مقدمتهم الإمام محمد عبده فضل لا ينكر فى تعميق فكرة التفسير الموضوعى ، وتطبيقه تطبيقاً منهجياً ، وربطه بالواقع الفكرى والسياسى والاجتمـــاعى والاقتصـــادى للمجتمع الإسلامى ، وكذلك فـــى وضـــع المنـــاهج النظريـــة للتفســـير الموضوعى ، ووضع الخطوات التى يجب أن تتبع فى أثناء البحث فيه ، وكذلك فى توجيه أنظار الباحثين إلى هذا اللون من التفسير .

ثامناً : تبنى فكرة التفسير الموضوعى بعد الإمام محمد عبده وتلاميـــذه علمـــاء كثيرون كان لهم الفضل فى تعميق البحث فى الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم ، وذلك فى أثناء تفسيرهم لكتاب الله تعالى أو بعض سوره .

تاسعاً : نشطت الدراسات الموضوعية لموضوعات القرآن الكريم فـــى العصـــر الحديث نشاطاً ملحوظاً ؛ إذ انكب الباحثون عليها وفسروا عـــدداً كبيـــراً منها ، وربطوها بواقع المجتمع المعاصر ، وهى فى تزايـــد مســـتمر ، ويتوقع لها المزيد .

عاشراً : لم يعتمد المفسرون قديماً بالتفسير الموضوعى مثل مفســـرى العصـــر الحديث ؛ نظراً لأنهم لم يكونوا بحاجة ماسة لهذه الدراسات ؛ إذ إن هذه الدراسات لم تكن ضمن متطلبات عصرهم ، وإلى جانب ذلك فإن التفسير الموضوعى يُعد اتجاهاً متخصصاً فى التفسير ، والقدامى لم يتجهوا إلـــى مبدأ التخصص لا فى تعلمهم ولا فى مؤلفاتهم .

وأخيراً ، فغن للتفسير الموضوعى أهمية كبيرة خصوصـــاً فـــى العصـــر الحديث ، الذى أصبحت الحاجة فيه ماســـة لتقـــديم الحقـــائق القرآنيـــة بجـــلاء ووضوح ؛ لإثبات مدى مرونة النصوص القرآنية ومسايرتها للتغيرات المختلفة فى المجتمعات المعاصرة ، ووضع الحلول الإيجابية لكل ما يعن لها من مشكلات إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

وبعد فمازال المجال بكراً ، ومازال التفسير الموضعى بحاجة إلى المزيد من الضبط والتأصيل والدراسات الجادة الواعية التى تضئ شتى جوانب الـــنص القرآنى وتربطه بحياة الشعوب والمجتمعات ، وبذلك نحقق أهداف القرآن الكريم الكلية والجزئية ..

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

ثبت المصادر والمراجع

١ - الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، المكتبـــة الثقافيـــة ، بيـــروت لبنـــان ١٩٧٣ م .

٢ - الأساس فى التفسير لسعيد حوى ، دار السلام ، الطبعـــة الثانيـــة (١٤٠٩ هـــ - ١٩٨٩ م) .

٣ - إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ، تحقيق : الســـيد أحمـــد صـــقر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ١٩٩٧ م .

٤ - الأعمال الكاملة لأمين الخولى ، مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، الجزء العاشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ م .

٥ - الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم د . محمد عمارة ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـــ ١٩٩٣ م

٦ - أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم د. عبد الله شـــحاته الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م .

٧ - إيجاز البيان فى ســـور القـــرآن للصـــابونى ، دار الفـــتح الإســـلامى - الإسكندرية الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـــ - ١٩٧٩ م) .

٨ - البداية فى التفسير الموضوعى دراسة منهجية موضـــوعية لعبـــد الحـــى الفرماوى ، دار النشر مجهولة ، مصر ١٩٨٤ م .

٩ - البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية (١٣٩١ هـــ ١٩٧٢ م).

١٠ – بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادى ، تحقيـــق : محمد على النجار ، إشراف : محمد توفيق عويضة ، لجنة إحياء التـــراث الإسلامى ، الكتاب الرابع ، القاهرة ١٣٨٣ هـــ .

١١ – التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ، دار المعـــارف ، الطبعـــة الثامنـــة ١٩٧٥م .

١٢ – التعريفات للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتـــاب العربـــى ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـــ ١٩٨٥ م .

١٣ – تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ م .

١٤ – تفسير الفخر الرازى ، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى ، دار الفكر (بيروت) الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـــ – ١٩٨٥ م .

١٥ – تفسير القرآن الكريم ، الأجزاء العشرة الأولى للشيخ محمود شـــلتوت دار القلم ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ م .

١٦ – تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا ، دار الفكر (بيروت) ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .

١٧ – التفسير القيم لابن القيم ، جمع : محمد أويس الندوى ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، مكتبة السنة المحمدية ١٣٦٧ هـــ – ١٩٤٨ م .

١٨ – تفسير المراغى ، لأحمد مصطفى المراغى ، مطبعـــة مصـــطفى البـــابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـــ – ١٩٧٤ م .

١٩ – تفسير المنار للإمام محمد عبده ، تأليف : محمد رشـــيد رضـــا ، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ١٣٥٣ هـــ ١٩٧٢ م .

٢٠ - التفسير الموضوعى بين النظرية والتطبيق (دراسة نظرية وتطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعى) للـــدكتور : صـــلاح عبـــد الفتـــاح الخالدى ، دار النفائس الأردن ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـــ ١٩٩٧م) .

٢١ - التفسير الموضوعى لأيات الحرب والسلم فى القرآن الكـــريم للـــدكتور : على أحمد فراج ، دار الطباعة المحمدية القـــاهرة ، الطبعـــــة الأولـــى ١٤١٣ هـــ - ١٩٩٢ م .

٢٢ - التفسير والمفسرون للدكتور : محمد حسين الذهبى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـــ ١٩٨٥ م .

٢٣ - تناسق الدرر فى تناسب السور للســـيوطى ، تحقيـــق : عبـــد الله محمـــد الدرويش ، دار الكتاب العربى ، سوريا ، الطبعـــة الأولـــى ١٤٠٤ هـــ - ١٩٨٣ م .

٢٤ - تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى ، تحقيق : أحمد عبد العليم ، مراجعة: على محمد البجاوى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القـــاهرة بـــدون تاريخ .

٢٥ - الجامع الصحيح للبخارى ، شرح وتحقيق : محب الدين الخطيب وأخرين المكتبة السلفية القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـــ .

٢٦ - الحيوان للجاحظ ، شرح وتحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصـــطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـــ ١٩٦٦ م .

٢٧ - دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرانى للدكتور أحمـــد جمـــال العمرى ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـــ ١٩٨٦ م .

٢٨ – دستور الأخلاق فى القرآن للـدكتور : محمـد عبـد الله دراز ، تعريـب وتحقيق : د. عبد الصبور شاهين ، مراجعة " د. السـيد محمـد بـدوى ، دار البحوث العلمية ، مؤسسة الرسـالة ، بيـروت ، الطبعـة السادسـة (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) .

٢٩ – دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تميمة ، جمع وتقديم وتحقيـق : د. محمد السيد الجلنيد ، مؤسسة علوم القرآن (دمشق بيروت) الطبعـة الثانية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

٣٠ – السنن الكبرى للبيهقى ، دار المعرفة ، بيروت (لبنان) الطبعـة الأولـى ١٣٥٣ هـ .

٣١ – سورة الرحمن وقصار السور للدكتور : شوقى ضـيف ، دار المعـارف ١٩٦٧م .

٣٢ – شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمـة والتعليـل ، لابـن قـيم الجوزية ، تحرير : الحسانى حسن عبد الله ، دار التـراث (القـاهرة) ، بدون تاريخ .

٣٣ – الصبر فى القرآن الكريم للدكتور يوسف القرضاوى ، مؤسسـة الرسـالة بيروت ، الطبعة العاشرة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٣٤ – صفوة التفاسير للصابونى ، دار القرآن الكريم (بيروت) الطبعة الرابعـة ١٤٠٢ هـ ١٩٨١ م .

٣٥ – العقل والعلم فى القرآن الكريم للدكتور : يوسف القرضاوى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

٣٦ – فى ظلال القرآن لسيد قطب ، دار الشـــروق ، الطبعـــة الســـابعة عشـــرة ١٤١٢ هـــ ١٩٩٢ م .

٣٧ – القاموس المحيط للفيروز أبادى ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـــ ١٩٨٧ م .

٣٨ – القرآن والضمان الاجتماعى لمحمد عـــزت دروزة ، منشـــورات المكتبـــة العصرية ، صيدا ، بيروت (بدون تاريخ) .

٣٩ – قصة التفسير للدكتور : أحمد الشرباصى ، دار الجيل – بيروت ١٩٧٨م .

٤٠ – قضايا إنسانية فى أعمال المفسرين للدكتورة عفـــت الشـــرقاوى ، مكتبـــة الشباب – القاهرة ١٩٨٠ م .

٤١ – الكليات (معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية) لأبى البقاء الكفـــوى ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش ومحمد المصرى ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القـــومى – دمشـــق ١٩٨٢ م .

٤٢ – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقى وأعد فهارسه : سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمـــران ، دار الحـــديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـــ ١٩٩٤ م .

٤٣ – لسان العرب لابن منظور ، تحقيق : لخبة من العاملين بـــدار المعـــارف منهم : عبد الله على الكبير وأخرون ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

٤٤ – مباحث فى التفسير الموضوعى للدكتور مصـــطفى مســـلم ، دار القلـــم ، دمشق ، الطبعة الثانية (١٤١٨ هـــ ١٩٩٧ م) .

٤٥ – مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ، مكتبة وهبـــة ، الطبعـــة الســـابعة ١٤١٠ هـــ ١٩٩٠ م .

٤٦ – المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء للشيخ محمد المدنى ، المجلـــس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١١هـــ – ١٩٩١م .

٤٧ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تميمة ، جمع وترتيب : عبد الرحمن ابن محمد النجدى الحنبلى وابنه محمد ، دار التقوى للنشـــر والتوزيـــع ، ١٣٩٨ هـــ .

٤٨ – مجموعة الرسائل الكمالية فى المصاحف والقـــرآن والتفســـير ، الكتـــاب الخامس (التفسير ورجاله) لمحمد الفاضل بن عاشور ، مكتبة المعـــارف ١٤٠٧ هـــ .

٤٩ – مدارس التفسير القرآنى للدكتور مصطفى الجويلى ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ م .

٥٠ – المدخل إلى التفسير الموضوعى للدكتور عبد الستار السعيد ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١١ هـــ ١٩٩١ م .

٥١ – مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخى وتحليل مقارن) للدكتور محمد عبد الله دراز ، ترجمة : محمد عبد العظيم علـــى ، مراجعـــة الـــدكتور : السعيد محمد بدوى ، دار القلم الكويت ١٤١٤ هـــ – ١٩٩٣ م .

٥٢ – المدرسة القرآنية لمحمد باقر الصدر ، دار التعارف – بيروت ١٩٨١ م .

٥٣ – مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب ، دار الشروق (بدون تاريخ) .

٥٤ – مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعى ، تحقيق : الـــدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين ، مكتبة المعارف – الريـــاض ، الطبعـــة الأولى ١٤٠٨ هـــ ١٩٨٧ م .

٥٥ – معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ، تحقيق : على محمد البجاوى دار الفكر العربى ١٩٧٣ م .

٥٦ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط : عبد الســـلام هارون ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـــ ١٩٨١ م .

٥٧ – المعجم الوسيط لمجمع اللغـــة العربيـــة ، الطبعـــة الثالثـــة ١٤٠٥ هـــ – ١٩٨٥ م .

٥٨ – مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ، تحقيـــق : صـــفوان عـــدنان داوودى ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيـــروت الطبعـــة الأولـــى ١٤١٢ هـــ – ١٩٩٢ م .

٥٩ – منهج ابن القيم فى التفسير للدكتور : محمد أحمد السلباطى من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٣٩٣ هـــ ١٩٧٣ م .

٦٠ – منهج الفخر الرازى فى التفسير بين مناهج معاصريه للـــدكتور : محمـــد إبراهيم عبد الرحمن ، مراجعة وتقديم الدكتور يوسف نوفل ، مكتبة الصدر لخدمات الطباعة ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .

٦١ – منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير للدكتور : فهد الرومى ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـــ .

٦٢ – منهجية البحث فى التفسير الموضوعى للقرآن الكـريم للـدكتور : زيـاد الدغامين ، دار البشير الأردن ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .

٦٣ – مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ، مطبعة عيسى البـابى الحلبـى وشركاه ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م .

٦٤ – الموافقات فى أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى ، شـرح وتعليـق : عبد الله دراز ، دار المعرفة بيروت (لبنان) ، بدون تاريخ .

٦٥ – ميلاد مجتمع (الجزء الأول شبكة العلاقات الاجتماعية) لمالك بـن نبـى ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر (دمشـق) ، الطبعـة الثالثـة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٦٦ – النبأ العظيم نظرات جديدة فى القرآن للدكتور : محمد عبد الله دراز ، دار القلم – الكويت ، الطبعة السابعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .

٦٧ – نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم للشـيخ : محمـد الغزالـى ، دار الشروق ، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٦٨ – نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ، خـرج آياتـه وأحاديثـه ووضع حواشيه : عبد الرازق غالب المهدى ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

٦٩ – النظم الفنى فى القرآن لعبد المتعال الصعيدى ، مكتبـة الآداب القـاهرة ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م .

٧٠ – الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم للدكتور : محمد محمود حجـازى ، مطبعة المدنى ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م .